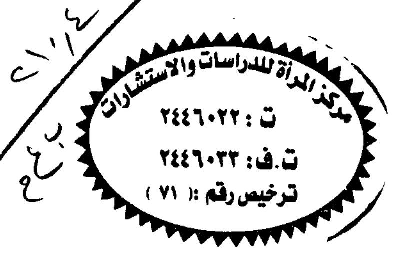




الكتاب الثاني

ماذا يريدون من المرأة؟

عبدالسلام بسيوني



عبدالسلام البسيوني

ماذا يريدون من المرأة؟

ح مجلة الأسرة، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البسيوني، عبدالسلام السيد

ماذا يريدون من المرأة.ـ الرياض.

١٦٠ ص؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك ٤-٦٣٩-٣١-٩٩٦٠

١ـ المرأة في الإسلام أـ العنوان

ديوي ١، ٢١٩ ١٦٢٥/١٧

رقم الإيداع: ١٦٢٥/١٧

ردمك: ٤-٦٣٩-٣١-٩٩٦٠

مكتب مجلة الأسـرة * ص.ب ٦٢٤٩٧ * الرياض ١١٥٨٥

ت/ ٤٦٤٦٣٦٥-٤٦٢٥٧٩٢ * فاكس ٤٦٥٩٨١٤

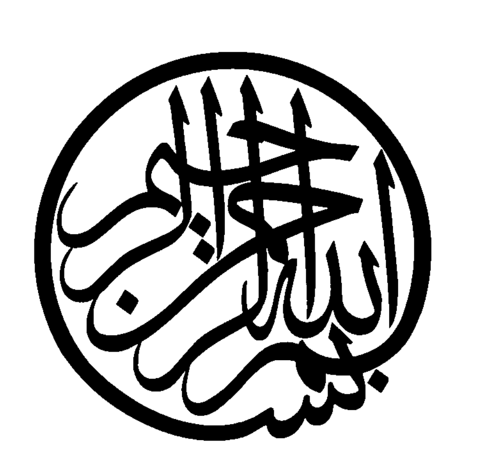
○ الطبعة الأولـى ○

ص.ب: ٤٢٢

إدارة الشؤون الإسلامية

الدوحة ـ قطر

١٩٩٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهـــداء

إلى أمهاتي العفائف أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن وإلى المحصنات الغافلات المؤمنات حيث كنَّ..

إلى كل امرأة تريد أن تحافظ على نفسها وشرفها وكرامتها ودينها وآخرتها..

أهدي هذه الورقات

عبدالسلام البسيوني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

[النور: ١٩ – ٢١]

وقال ﷺ: «**أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها، مزق الله عز وجل عنها ستره**» صحيح رواه أحمد والحاكم والطبراني

مقـدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله الهادي للخير، والداعي إلى مكارم الأخلاق وبعد:

فلم تشغل العالمَ العربيَّ ـ منذ عقود ـ قضيةٌ متكررة ومتجددة مثل قضية المرأة، فكانت مدار حوارات ساخنة، وآراء متعارضة بين تيارين متباينين:

أولهما: تيار ما يسمى: «دعاة تحرير المرأة» الذين أخذوا على عاتقهم مهمة حماية حقوق المرأة والدفاع عن مصالحها ـ زعموا ـ ومن أجل ذلك كتبوا الكثير من الأبحاث والكتب فضلاً عن المقالات والرسائل، وكان مدار طرحهم أن المرأة في عالمنا العربي ممتهنة، ومهضومة الحقوق، ومسلوبة الحرية، وسجينة البيوت، ومقهورة من الرجال، وبالتالي لابد من الانتصار لقضيتها، والدفاع عن مصالحها، ومساواتها بالرجال. وهذا التيار على نوعين أو صنفين من الناس.

صنف تحركهم الأهواء والعواطف دون عقل وبصيرة، أو علم وتدبر، أو فهم للشريعة ومقاصدها، والتمييز بينها وبين بعض العادات والتقاليد المحلية.

وصنف آخر منحرف الفكر، سيء الخلق، داعٍ للانحراف والرذيلة لارتكاسه فيها وانحداره إلى قاعها، لا تعنيهم الفضيلة ولا الدين، ولا حتى العادات والأخلاق العربية الحميدة، فالغرب قبلتهم، وعاداته مقصدهم.

أما **التيار الثاني**: فهم دعاة الخير والفضيلة، الذين آلوا على أنفسهم حماية المرأة من أسباب الغواية ودعاتها وروّادها الذين تغلغلوا في مجتمعاتنا، وسيطروا على بعض منابر التوجيه والإعلام فيها. وبين أيدينا

إحدى ثمرات هذا التيار المبارك وهو كتاب «**ماذا يريدون من المرأة؟**» للكاتب الفاضل الشيخ **عبدالسلام البسيوني**، والذي تصدى في بحثه للمخربين فهتك أستارهم، وفضح ألاعيبهم التي أغروا بها بعض الضعفاء والجهلة، وبيّن أن قواعدهم متهالكة، وآراءهم ساقطة عقلاً ـ فضلاً عن الشرع ـ وعرّج على بعض أمثلتهم الواقعية في الصحف والمجلات والكتب والروايات إضافة إلى الإنتاج الفني والإعلامي المرتبط بها.

وختم بحثه بفصل جميل بديع بعنوان: «**ماذا نريد نحن من المرأة؟**» جمع فيه مجموعة من النصوص من الكتاب والسنة وأقوال بعض السلف الداعية لصون المرأة، وحفظ كرامتها: بنتاً، وزوجة، وأماً.

ولعلي أشير في الختام إلى أسلوب الكاتب الذي يعتمد أحياناً أسلوب النقد الساخر وأن الذي لا ينتبه له قد لا يفهم المقصود فيسيء الظن.

والكتاب الذي بين أيدينا هو **الإصدار الثاني** من سلسلة كتاب الأسرة حيث كان **الإصدار الأول** بعنوان «**دنيا**» آملين أن يحقق المقصد منه، ويسد ثغرة في المكتبة العربية في بابه، جزى الله الكاتب خير الجزاء، ونفع بعمله المسلمين.

والحمد لله رب العالمين

د. مالك بن إبراهيم الأحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه: أما بعد:

○○ بين يدي الدراسة:

رغم بعض المحاذير والإشكاليات التي يتعرض لها من يكتب عن المرأة، فإنه لابد لأحدٍ أن يكتب، وأن يقول الحق، وأن يدفع عن دينه تهماً يلصقها به قوم أقل ما يقال عنهم إنهم يجهلون هذا الدين: لم يقرؤوه، ولم يسلّموا بأنه من عند الله تبارك وتعالى ولم يرتضوا لعقولهم أن تستجلي ملامحه، وتستبين معالمه، من خلال مصادره الكبرى، وأصوله العليا، درساً وفهماً وتأملاً.

ولا شك أن شدة الهجوم على المرأة في هذا القرن جعلت كثيراً من الكتاب والمفكرين يترددون ـ ألف مرة ـ في الكتابة عن المرأة إلا تحويماً، أو دفاعاً عن قضايا خاسرة يسهل الرد عليها، بل لانحتاج للرد عليها، فالإسلام ليس موضع اتهام وليس فيه مطعن، لكنّ غيره المنقوص والمغموص والخاسر.

لذا أعجب حين يسوّد بعض الكتاب ألوف الصفحات، متخذين فيها هيئة المدافع الذي قصاراه أن يحسّن الصورة، وغاية همه أن يقرّب الإسلام إلى الواقع، و «يُعَصْرِنَ» الرؤية، ليقول بعض الناس: نعم إن الإسلام دين يكرّم المرأة وينصفها.

نفعل هذا في حين يصول في الميدان إباحيون، ومستغربون، ومستشرقون

ومتعالمون، ومبغضون، يتبنون أموراً ـ عن المرأة ـ لا تندرج بحال تحت دين، أو عقل، أو منهج، أو عرف، أو تقاليد، أو مواطنة، يستقتْلون دونها استقتال اللبؤة الهائجة، برؤوس مرفوعة، وألسنة حدادٍ أشحةٍ على الإنصاف.

وقبل الدخول إلى موضوعنا نحتاج أن نقدم ببعض المقدمات الممهدات:

○ لا أشك لحظة في أن الذين يطرحون ـ في بلاد المسلمين ـ الشبهات والأكاذيب عن امتهان الإسلام للمرأة، وعن قمعها التاريخي، **يصدرون عن ولاء معلن وشديد الوضوح لأيديولوجية غربية أو شرقية**، صارت أعلى في نفوسهم من الإسلام الذي بات من وجهة نظرهم قاصراً ـ مع إحسان الظن الشديد ـ عن أن يقدم رؤية صحيحة تنصف المرأة، وتوفر لها حقوقها.

○ ولا أشك لحظة في أن العامل الجنسي عامل أغلبي في نظرة الفلسفات الشرقية أو الغربية للمرأة، يؤيد ذلك ما سنسوقه من إحصاءات ونقول وجداول، ويؤكده واقع الممارسات اليومية، من استباحة المرأة، وإباحة كل شيء لها، حتي وهي مرتبطة بزوج وأبناء، في حين ننظر لها نحن كقلب وعقل وكيان روحي، ومصير دنيوي وأخروي، وندين لله تعالى بأنها نصف الدين، وأن إكرامها طاعة وقربة.

○ ولا أشك لحظة أن **القراءة الانتقائية العوراء تقدم نتائج شديدة القتامة**، فبدهي أن المنقب يجد في تاريخ الأمم كلها ـ كلها ـ وعلى مرِّ عصورها التاريخية فترات انحدار، أهينت فيها المرأة، وأهين فيها العلم، كما أهين الدين، وفيها ارتفعت الخرافة، وانتُهج القمع أسلوباً للتعبير، أو لكتم التعبير.

أستطيع ـ بسهولة ـ أن أجد هذا في الحضارات الكبرى في القديم والحديث ويسير جداً أن يخرج الباحث بمسرد ضافي الذيول عن قهر المرأة، وقمعها، واستعبادها، والتجارة بروحها وجسدها، في أوربا ـ مثلاً ـ من فجر تاريخها حتى يومنا هذا لكن هل التنقيب عن القمامة وحدها منهج قويم في التأريخ وطلب الحقائق؟!.

هل ابتسار الحقيقة، والكذب في النقل، والتزوير في الروايات والأسانيد، ولي النصوص لتوافق هوىً متبعاً، أو رأياً منتحلاً.. هل هذا من الصواب في المنهج، أو الأمانة في العلم؟!.

إن المتأمل في طروحات الناقمين على الإسلام، المبغضين له، يجدهم يدورون ـ صراحة ـ حول محاور هي أقنعة تستر أغراضاً من السهل تعريتها وتسليط الأضواء عليها:

○ فهم يصرّحون بأن **الفقه الإسلامي متعسف جائر نسائياً**، بل جائر مطلقاً لأنه لا يوافق أهواءهم.

○ **ويخلطون بين الإسلام الصحيح، والتقاليد**، ويسوون بين أغاني الأصفهاني وصحيح البخاري، وبين ألف ليلة وليلة ومسند الإمام أحمد، وبين حكايات مسرورٍ السيّاف الأسطورية وسيرة ابن هشام أو بلاغات الموطأ.

○ **ويخلطون ـ كذلك ـ بين التقاليد والعادات، وبين السنن الثوابت**، ويسوّون بين أخطاء سوء الفهم والتطبيق للإسلام وبين نصوص الشريعة..

فتراهم يثيرون قضية الختان، أو منع البنت من الميراث أحياناً، أو

إجبارها على الزواج في بعض المناطق، وينسبون ذلك ـ صراحة ـ إلى دين الله عزّ وجلّ، كأنما جاء القرآن بذلك، ودعت له السنة، وكأن هذه القضايا قد باتت من المعلومات من الدين بالضرورة؟!!.

* وتراهم يثيرون الشبهات حول إعنات الزوجات، أو الشذوذ الجنسي، أو العنف الزوجي، ويعدون ذلك ـ كذباً وزوراً ـ خصيصة إسلامية.

* وتراهم يدّعون أن الحجاب وارد من الأمم الاستعمارية، مقتبس عنها، فهو إما تركي أو يهودي أو فارسي!!.

* وتراهم يصرّون على رقي المرأة الغربية، واستقرار حالها، وحسن منهج حياتها فتكون أولى بالاتباع والتقليد من أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن، متعامين عن حقائق دامغة يقرّ بها الغربيون أنفسهم، ويفكرون لها في مخارج ترحمهم من همّ ثقيل، وعبء يؤود.

موجات غبار تثار، وشبهات تفتعل، ومغالطات تنبىء عن بغضٍ، وعن مكر وعن كيد، وما تخفي صدورهم أكبر.

والخلاصة أن القوم لا يملكون:

لا الإنصاف من النفس، ولا
المنهج العلمي السديد، ولا
الرغبة في الوصول للحق،
ولا الوفاء لعقيدة أو مواطنة

إن المرأة في بلاد المسلمين قد خرجت، وتعلمت، وعملت، وساوت الرجل مساواة تامة في الأجور، وزاحمته حتى فيما لايتزاحم عليه العقلاء:

فأنشئت **أندية نسائية لكرة القدم** ورفع الأثقال وكمال الأجسام، وعمَّ التعقيم الاختياري والجبري، والسري والعلن، وغالبت مقولات الفنانين والمتأدبين محكمات التنزيل، ومتواترات السنة.

وانتشرت المراقص وعلب الليل، وتضخم عدد الفنانين، وتعرّت النساء والآراء، وتبجَحت الإباحيات:

فهل تقدّمت الأمم، ونالت حريتها، وحُلّت مشاكلها؟!.

إن هناك أغراضاً واضحة صريحة معلنة في الكتب والصحف وعبر وسائل الإعلام يرن صداها رنين الأواني النحاسية الضخمة، ليدخل دويّها كل عقل، عن طريق أدوات التأثير التي دخلت المخادع، واقتحمت الخصوصيات.

وعلى طريقة الناس العمليين نقول: (**ماذا تريدون من المرأة؟**).

ماذا تريدون؟ بعيداً عن الأقنعة، وبعيداً عن الدبلوماسية في الحديث، والحيدة في الإجابة، صرحوا بما تريدون.

ما مقصود القوم؟ وما غاياتهم؟ وما ذرائعهم ووسائلهم؟.

هذا ما يجيب عنه هذا الكتاب عبر فصوله، حيث نتناول المقاصد المعلنة للقوم ـ ندينهم من أفواههم ـ ثم نعرض لذرائعهم التي يتذرعون بها، والوسائل التي يستخدمونها لتحقيق مبتغاهم، وننظر في الأعمال الأدبية ـ كحقل تطبيقي لبث الأفكار السابقة ـ ثم نوضح: **ماذا نريد نحن من المرأة.**

وهذا العمل بين يديك ـ قارئي الكريم ـ بغية الوصول إلى رؤية واضحة لا من خلال التهويش اللفظي، ولا من خلال كلام أنصار المنهج الإسلامي بل من خلال كلام القوم وكتبهم لئلا يكون لمحتج حجة.

وهو الكتاب الثاني من مجموعة أزمعت إخراجها بعنوان «**مكانك تحمدي**».. كان أولها كتاب: **تجفيف منابع الأنوثة**، وثالثها ـ بإذن الله ـ ترجمة لدعاة وداعيات التحرير الجدد الأجرأ، والأعنف، والأكثر إطّراحاً للدين وعدواناً عليه نتأمل مرجعياتهم الفكرية ونشاطاتهم وتجاربهم، لنؤكد الشعار الذي اخترناه للمجموعة:

مكانك تحمدي

فإن كنت قد أصبت ووفقت فمن الله عزّ وجلّ الموفق لكل خير، وإن كنت أخطأت فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى من كل ذنب وخطيئة.

وأتمنى على قارئي الكريم أن يدعو لي دعوة بظهر الغيب، بأن يجعلني الله وإياه من أهل رضوانه ووالدينا وأحبابنا والمؤمنين والمؤمنات وأن يعذرني على جهد المقل هذا.

وأسأل ربي الكريم سبحانه أن يكون في كلماتي هذه تجليةً لحق، ودفع لإفك، وإعذار إلى الله تعالى من مكابر، وتنبيه لغافل.

وأسأله سبحانه أن يجعل هذا الكتاب ـ وإخوته ـ زاداً لي إلى الجنة، إنه خير مسؤول.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك والحمد لله رب العالمين.

عبدالسلام البسيوني

الدوحة في صفر ١٤١٦هـ

بــــداية

بالتجول في الصحافة «الحرة»، وكتابات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، وفي الدراسات النسائية التي كتبها عدد من دعاة تحرير المرأة، لا أخفي أنني بوغتّ مباغتة شديدة بما يريد القوم وما يأملون

وهم صرحاء في هذه الكتب والدراسات، لايدارون، ولايخاتلون، لما يتمتعون به من الحرية في التعبير هناك، وإنما يأتي «**اللف والدوران**» هنا من الذين يخافون الصدام المباشر مع عقيدة الجماهير العريضة، وأخلاق مجموع الأمة، فيحلفون بالله ثلاثاً إنهم لمؤمنون، وموحدون، وملتزمون، وإنهم ليقرؤون المصحف الشريف «**من الجلدة للجلدة**» فلا يجدون فيه نصاً على حكم الحجاب، أو قوامة الرجل على المرأة، ويرون أنفسهم مجتهدين مأجورين بعشرة أجور حين يذهبون إلى أن اشتراط العفه في المرأة رجعية، وأن تنصيف الميراث إهانة وامتهان، وأن الأئمة الأربعة وعلماء الإسلام، قديماً وحديثاً، لم يحسنوا فهم النصوص ولاتدبرها، فأدى بهم ذلك إلى فهوم جانحة، أضرت بالمرأة، وانتقصت من مكانتها، وهضمتها حقوقها.

ولا يحتاج أحدنا لكثير تأمل ليلحظ أنهم يدورون حول مقاصد معينة، ويأملون تحقيق نتائج هي ـ في النهاية ـ تدمير شامل كامل للأسرة، وللمجتمع، وللمرأة وللرجل، وللأبناء، بل وللدنيا كلها ـ إذا هي تحققت لاقدر الله ـ لأنها ستكون قلباً للسنن الفطرية ـ على المستوى الجمعي ـ وستكون تأنيثاً للرجال، وتذكيراً للنساء، وصناعة لجنس هلامي مصادم للفطرة، شاذٍّ ملوث، ملعون بلعنة الله تعالى التي تصيب المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، وتعجّل بزوال الأرض ومن عليها من صالحين وطالحين ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾ [**الأنفال**: ٢٥]

● كيف يتحول جيل أو أمة أو قارة إلى مجمع للقاذورات، تتعرض عامدة لسخط الله الجبار ولعناته، وتريد أن تجعل اللعنة عامة والارتكاس شاملاً؟!.

● وكيف يتعرض آدمي - لا يساوي شيئاً في ملكوت الله تعالى - للعبث بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، لتلد صبيتان غلامين كلبين: الأنف أنف كلب، والشعر شعر كلب، والصوت عواء ونباح؟[1].

● بل قل: كيف يجترئ من لم يقرأ دين الله تعالى على دين، ومن لم يعرف شرع الله على شرع، ظاناً أن الأمر كأس ماء، أو نزهة يروّح بها عن نفسه، فهو يحل ويحرم، وينفي ويثبت، ويقر ويمحو، بوقاحة لايعرفها منهج العقل، ولاهدى الدين، زاعماً أنه أعلم بالإسلام من علماء الإسلام سلفاً وخلفاً!!.

ونلخص مقاصد القوم - أهمّها - فيما يلي:

١- ***التعدي التام على الأديان لنقضها، وإحلال الشهوات دستوراً، ومنهجاً، وتشريعاً.***

٢- ***إزاحة كل الضوابط الدينية والعرفية والخلقية - كالعفة والقوامة - ومراغمة فطرة الخلق في الرجل والمرأة.***

٣- ***استباحة الشذوذ مطلقاً - وعلى كل المستويات - وإلباسه المظلة الدستورية، والحماية القانونية، تحت ذرائع مختلفة.***

٤- ***تفكيك النظام الأسري الفطري المعروف - تفكيكاً كاملاً - ليكون الناس فقط: مجرد رجل حر، وامرأة حرة، وأطفال بلا نسب أو استواءٍ فطرة أو تربية شريفة.***

٥- ***الهجوم على الزواج الفطري، وبذل الجهد لإلغائه بعد تشويهه وتقبيحه.***

ولا نجد مناصاً من أن نقف قليلاً إزاء هذه النقاط، لنرى كلام القوم وحججهم ونتأمل مناهجهم في الهجوم، وطرائقهم في غرس هذه المناهج.

١- الشرق القطرية في ٢٨/٧/٩٥، وقيل أن هذا ناتج عن تجارب الهندسة الوراثية، وقيل إنه من نتاج الاستباحة، ولعله نوع من خداع التصوير، لكن لا نستبعد أن يكون هذا نذيراً من النذر التي تساق، لعل عاقلاً يرتدع، أو جانحاً يثوب إلى رشده، مع تطرف القوم في الاستباحة، والتعالن بالشذوذ حتى مع الحيوان!!.

الفصل الأول

ماذا يريدون من المرأة المسلمة؟

أولاً: التعدي التام على الأديان والتطاول على الإسلام ورموزه

في كثير من الأحيان بات الغش الثقافي وادعاء الاستنارة يقسم الناس فريقين:

○ **فريقاً مستنيراً مثقفاً مبدعاً**، يملك من الوقاحة وسوء الأدب ما يتطاول به على الله عز وجل، والأديان، والقيم، تحت دعوى التجديد، والإبداع، وعدم تقييد المفكر بأي قيد. ويستوي في هذا المنظّر الفكري، والشاعر، والأديب القاص، والمتحدث بلسان المرأة، والسينمائي، ومن على شاكلتهم.

○ **وفريقاً سلفياً**، **جامداً**، متخّلفاً، منغلقاً، عميلاً، رجعيّاً، ابن «ستين في سبعين»، يؤمن بقداسة القرآن، ويقدم فُهوم الصحابة والتابعين والأئمة، ويدين الله عز وجل بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وأنه غير قابل للنسخ، أو المسخ، أو الأمركة، أو التهويد، أو العبث.

○ **الفريق الأول**: هم أهل الدنيا والاستنارة.. وهم أهل الجنة - يزعمون عند اللزوم - يدخلونها من أبوابها الثمانية، لأنهم يفهمون الإسلام وسماحته وحلاوته.

○ **والفريق الثاني**: هم أعداء الله، وخفافيش الظلام، ومبغضو التنوير، وهم - بلا شك - في أسفل سافلين إلا... إلا من استنار، وتاب، وأناب، وقرأ القرآن على طريقة فاطمة المرنيسي ونوال السعداوي والراقصة سنية شخلع.

وخصلة الجرأة على الإسلام ورموزه، والتطاول المزعج على ثوابته وقطعياته، تكاد تكون قاسماً مشتركاً بين أولئك جميعاً، يتطرفون فيه إلى حدٍّ خطير، ويدرجه تُفهِم ـ بوضوح لا لبس فيه ـ أنه لا يؤمنون بدين، ولا إله، ولا كتب سماوية، وإن تستروا عند الاضطرار بكلمات مطاطة موهمة، تنزاح إذا خلوا إلى شياطينهم، أو دارت رؤوسهم.

فيرى **هشام شرابي** أن للدين دوراً في إعاقة التطور الاجتماعي، إذ يساهم في بلورة القيود الاجتماعية، وما تحتويه من العادات والتقاليد، التي تتدخل في وضع العائلة، وفي المجتمع، ومركز الفرد تجاه العائلة وتجاه المجتمع[(١)].

وتذهب الشيوعية **حنان عواد** إلى أن معظم القوانين الحقوقية مستمدة من القوانين الدينية، التي تتميز باستاتيكية متناقضة مع كل العوامل الحضارية التي تبعث على التغير، وأن الدين يقف حجر عثرة أمام عوامل التغيير التي تدخل بفعل تأثير التكنولوجيا، كما يلعب دوراً هاماً في تجميد حرية الأفراد.

وأن الأفكار الدينية تتغلغل ـ بقسوة ـ داخل التقاليد والأعراف الاجتماعية التي تعمل على تدعيم الأفكار التي تعرقل مسيرة المرأة الثورية، وتحد من حراكها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي[(٢)].

١ـ أثر التكنولوجيا على المرأة العربية: بحث لحنان عواد، غير منشور.

٢ـ المصدر السابق

وتنادي **غادة السمان** بإعتاق المرأة ـ ولو رسمياً ـ من **تشريعات تثير التقزز(؟!)** ـ كبرت كلمة ـ كأن تضطر امرأة مثقفة تعول نفسها كأستاذة الجامعة إلى إحضار شقيقها الذي قد يكون معتوهاً أو أمياً، وهي التي تنفق عليه، إلى دوائر الأمن، كي تمنحها السلطات إذناً بالسفر، باعتباره ولياً شرعياً.

وتدلف **غادة السمان** إلى غرضها النهائي قائلة:

في ظروف رسمية واجتماعية وفكريه كهذه، يستحيل نشوء علاقة إنسانية وبناءة، بين رجل وامرأة، خارج السرير وداخله[١].

وتناقش **سلوى خماش** ربَّها ـ عز وجل ـ وترد أحكامه، وتدفع بالهوى آراء الفقهاء الذين عمَقوا ـ كما تقول ـ دونية المرأة، منطلقين من تركيبها البيولوجي:

لا أفهم ـ كامرأة ـ علاقة الحيض والإنجاب أو عدمه، بتخصيص، أو عدم تخصيص جنس دون آخر بالرسالات، والتنبؤات، وقيادة الحروب، ولا سبب نقصان الثواب.

وينقل **عبدالهادي عباس** أن الكتّاب التقدميين قدموا بحوثاً مهمة تنادي بتحرير المرأة، وتطرح رأيها ـ بجرأة ـ في نزع الصفة الإلـهية عن مؤسسة الزواج، التي ليست ـ في حقيقتها ـ سوى شكل من أشكال العيش الطوعي للجنسين، وهي خاضعة لسنة التطور والتبديل، ولا علاقة لها بإرادة غيبية مما وراء الطبيعة[٢].

١ـ عبدالهادي عباس: ١٣٣٩ وما بعدها، وهي مقولة يجترها كثير من أمثال حسين أمين الذي احتج أن يكون بواب عمارتهم أعلى يداً من بعض النساء المثقفات، كأنما يريدون إسلاماً مفصلاً عن الهوى!!.

٢ـ السابق: ١٣٤٢ وما بعدها.

وتشك **نوال السعداوي** في العدل الإلهي، وتحتج على أهل الدين قائلة: لماذا لا يكون الإله امرأة؟ تعالى الله عز وجل[1].

ويرى **بوهديبة** أن الحجاب يعني أن تتنكر المسلمة تنكراً كاملاً، وأن المجتمع العربي يصادر النوع الأنثوي، وأن البيت العربي حجاب حجري مشتمل على القطن أو الصوف، كما يرى أن المحرمات التي ترافق النكاح تمثل عملية سحرية أكثر مما تمثل عملية جنسية[2].

ويزعم **خليل أحمد خليل** أن قوامة الرجل على المرأة تبدو امتداداً لمعطيات وظروف استبدادية وتسلطية معروفة في التاريخ القديم، وهي ترقيق للرق.

ويذهب إلى اعتبار المرأة سكناً للرجل، وحرثاً له، والتفريق في الميراث، وحجب المرأة، وتعدد الزوجات ـ وغير ذلك من الأحكام النسائية ـ كلها صور **غير مشرّفة وغير مقبولة**، بل تؤكد عبودية المرأة العربية وقهرها في تراثها ومجتمعها ومستقبلها[3].

١- جاء ذلك في كتابها عن الوجه الخفي لحواء The Hidden Face الذي ترجمه شريف حتاتة ـ زوجها ـ وطبع في بوسطن (Bacon Press - 1980) كما صرحت بذلك في مقابلة لها مع طروب عبدالهادي في إبريل ٨٤، وفي حوار لها مع مجلة ماري كلير الفرنسية في إبريل ١٩٩١م، وتريد نوال السعداوي استعادة واستحياء الوثنيات التي كانت تؤنث الألهة كالإغريقية والرومانية والفرعونية وحضارات الشام حيث كانت ثمة إلهات كديانا وفينوس وعشتار.. ووصف الرب الأعلى بذكورة أو أنوثة كفر مخرج عن الملة، فهو عز وجل «ليس كمثله شي» وعقيدتنا أننا نصف الله عز وجل بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، من غير تحريف ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تمثيل، وأن ننزهه عن كل نقص، ومن النقص وصفه بالذكورة أو الأنوثة، فاللهم إني أبرأ إليك من جرأة هؤلاء، وادعوك أن تهدي قلوبهم، وتنور بصائرهم.

٢- خليل أحمد خليل: ص ٥٠. والمرأة الجزائرية ـ ٢٢٦ وما بعدها.

٣- السابق: ٤٦، ٥١.

وترى **إلهام كلاب** أن الأسرة هي الخلية الأساسية للاستهلاك، ومن هنا كانت مؤسسة حماية وحفاظ على الظروف السائدة والسلطة القائمة، وهذه السلطة تتمسك بالأخلاق والقوانين المعادية للحرية الجنسية، وتعطيها صفة القداسة[١].

وتقول **فاطمة المرنيسي**[٢]: هناك توافق في الآراء بين علماء الاجتماع ـ لا سيما النساء منهم ـ بأن الفكر السائد، كما تبرزه وتؤكده التقاليد الإسلامية والقبلية، يمثل أحد العناصر الهدّامة التي تؤثر على مركز المرأة.

وترى أن التكافؤ الجنسي ينتهك منطق الإسلام، إذ يرى الله (هكذا) أن المرأة عنصر هدام، ويقتضي الأمر عزلها مكانياً، وإبعادها عن كل الأمور، باستثناء تلك الخاصة بالأسرة.

ويبكي **خليل أحمد خليل** من تشريع حد الزنا، ويعده شكلاً من أشكال القمع الجنسي، ويرى أن الحداثة العقلية تعلن رفض الطرق السلوكية القديمة التي أسقطها التاريخ، وتسعى الثقافة السلفية لإحيائها، من خلال الدفاع عن التخلف. **كما أن هذه الحداثة العقلية تعني حق المرأة في التحرر الجنسي فهي سيدة جسدها**[٣].

وهكذا يصرح القوم ولا يستحيون: تطاولٌ على الله عز وجل، مقتٌ للدين، رفض للأحكام، كذب في المنهج، خداع للمرأة، كل ذلك في إهاب من التعالم وادعاء المنهجية ـ أو «المنهشية» كما سمعت أستاذنا

١- السابق: ١٢٤. ٢ - ما بعد الحجاب: ١٦. ٣- ص ٥٠، ١٠١.

الدكتور الديب يقول ـ والتبجح بدعوى الاجتهاد والنظر.

ولكن لا يفوتني أن أشير هنا إلى أمور:

○ الحدود لا واقع لها في العالم الإسلامي كله من زمن بعيد، ومنهج الإسلام في التعامل مع المرأة مُغيَّب، والناس يخافون (موءودةً) أن تُبعث لتُسأل، فهم يبذلون جهدهم، لتبقى موءودة، ويحرصون على تعميق القبر لها: ﴿**وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ**﴾ [**الصف**: ٨].

○ كلمة **السلفية** ـ عندهم ـ لا يراد بها تيار إسلامي معين، وإنما يُعنى بها كل من يؤمن بقداسة القرآن والسنة، ويدعو لما فيهما، فكل المسلمين سلفيون في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وفي المتعلمين والجهال.

وأعجب من فكر يلغي الأمة بكاملها، ويطرد عقيدتها، ويصادر مواريثها، من أجل ولاء مدفوع الأجر لشرق أو غرب.

○ الحداثة العقلية التي ينادي بها أولئكم، تدور ـ كما يصرّحون دائماً ـ حول تحطيم ثلاثة (تابوهات) أو مقدسات هي **الدين والجنس والسياسة**، فأما في السياسة فأغلبهم الآن صار مخصياً، يشعل البخور، ويقدم فروض الولاء وأما في الدين والجنس فهم أجرأ الناس على الله تعالى، وعلى الدين والقيم والأعراف، والأخلاق والأعراض.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثانياً: إلغاء مفاهيم وقيم الشرف والعفة والقوامة وما شابهها تحت دعوى الاستنارة

رغم أن مفهوم العذرية والشرف ـ بمعناهما الإسلامي والشرقي البحت ـ لا يزال شائعاً في بعض مناطق أوروبا كما في قبائل الساركاتزاني Sar-akatsani اليونانية، حيث الاهتمام بالنساء وشرف العائلة على أشده ـ حتى إن البنت هنالك لو زنت كان على أبيها أو أخيها قتلها ـ وكما في بعض مناطق الريف الأسباني والإيطالي والإنجليزي.

ورغم أنه في كثير من الدول الإسلامية والدول الأوربية في حوض المتوسط لا تزال قطع القماش الملطخة بالدم تُعرض على الناس دليلاً على الشرف والعذرية[1]، ورغم أن مجموع أمة محمد ﷺ ـ أمة الإجابة ـ لا يزال محافظاً، رجعياً، ظلامياً ـ كما ينعتون ـ يؤمن بالعفة، ويغار على الأعراض.. فإن حفنة **المستنيرين** ـ من وكلاء الغرب ومندوبي مبيعات فكره ـ تستميت من خلال النضال الفردي والمؤسسي والدولي لنسف هذه المفاهيم وتقويضها، وزحزحتها، لإحلال مفاهيم أخرى لقيطة، لا تؤمن بشرف ولا عرض، وتريد النساء جميعاً نهباً لمن يدفع أو يشتهي.

○ فترى **د. نجاح العطار** ـ في دراستها عن وضع المرأة في سورية ـ أن قضية الشرف هي القيد الأكبر الذي يشل من حركتها في المشاركة في كافة الميادين والنشاطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[2].

١- Contemporary Cultural Anthropology: 209

وليس هذا إقراراً منا للعادات المتخلفة والمخالفة للشرع، لكنها إشارة إلى أن ثمة من لا يزال يغار، في زمن تباع فيه الديانة باسم الثقافة والتحضر والانفتاح.

٢- ص: ١٢٢.

○ ويقول **خليل أحمد خليل**:

الذين يكتفون بالحديث عن شرف المرأة الجنسي فقط نسألهم: ما هو شرف المرأة العربية في المجتمع والسياسة والصناعة والتجارة والعلم والأدب والفن[1].

○ وتقول **نوال السعداوي** في كتابها المرأة والجنس: إن المرأة البدوية تعيش قهراً ومأساوية في المجتمع البدوي، الذي يختصر كل كيان المرأة في جسدها وشرفها، المركز في عفافها الجنسي، المتمثل ـ سطحياً ـ بغشاء البكارة، التي لا يرتبط بها شرف المرأة وحدها، بل وحتى شرف الأب[2].

ويرى **عبدالهادي عباس** أن المفارقة المرعبة تظهر عندما تُرى امرأة في كلية الطب أو الحقوق أو الهندسة، وهي تدرس أحدث النظريات، ومع ذلك تعيش على يقين أن جسدها عورة يجب أن تستر، وأن الشرف بالنسبة لها هو الحفاظ على هذه السترة دون أن يخطر ببالها أن تتمرد عليها.

ويرى أن المرأة تخضع لدونية إسلامية، إذ تحكم عليها المذاهب الأربعة بأن جسدها عورة. إلا وجهها وكفيها.

ويؤول قضية العفة تأويلاً اقتصادياً ـ كعادة اليساريين ـ فيذهب إلى أن العفة كانت خطيئة ـ قديماً ـ ثم تحولت إلى فضيلة لأسباب اقتصادية هي الملكية، إذ البكارة امتداد للشعور بالملك الذي أحسه الرجل إزاء زوجته، بعد أن أصبحت الأسرة أبوية، وازدادت قيمة البكارة بارتفاع مهر الأبكار.

ويشير إلى إرادة غيبية مما وراء الطبيعة ـ لعله لا يقصد مارس أو

١- عباس: ص: ١٢٦٢ ومواضع أخرى.

٢- المصدر السابق.

جوبيتر ـ لا يقبل العقل ولا المنطق أن تكون في إدارتها للكون مهتمة بوضع مقاييس لطول ثوب المرأة أو قصره ـ وهي التي أوجدت المرأة، لأول مرة، دون ثياب ـ أو أن تتدخل في فرض **جزية** على فض البكارة تحت اسم المهر أو الأجر الذي يجب إعادته في حال عدم ثبوت بكارة الفتاة[1].

ويتمادى بعضهم في مهاجمة رموز العفة ـ من بكارة وحجاب وغيرها ـ وبمهارة وصفاقة يقلبون الحقائق ليصير الأسود أبيض، والعفن طهارة ونقاءً، فتذهب كثيرات إلى أن الحجاب عودة فاشلة للتستر، **والعباءة مادة لإخفاء الأعمال غير الشريفة** (!!).

وتستطرد إحداهن قائلة:

يا للأسف، بعد هذه المدة من الكفاح من أجل نسف هذا التقليد الاجتماعي البالي، أفاجأ بأن العباءة تعود من جديد، خاصة وأن فتيات الجامعة بدأن في لبسها، يا للأسف: إنها ظاهرة خطيرة لا تهدف للتدين، بل إلى التستر من الأعمال غير الشريفة[2].

وما أبشع أن تصير المتجردة لا بسة ما لا يستر غير السوأة المغلظة، أو المصطافة في القرى «إياها» أو الشابة لا بسة الميكروجيب، أو حتى لابسات الجينز من المسترجلات أشرف من لابسات العباءة..!.

إنها صفاقة عجيبة، واحتراف لقلب الحقائق.. تماماً كما قال أهل القرى المؤتفكة من المأبونين الشواذ: ﴿**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ [**النمل**: ٥٦].

١- ج١/ ١٣١/ واقرأ ص: ١٢٩٨ وما بعدها.

٢- المجتمع ١٣/ ٢/ ٨٩ نقلاً عن الحوادث اللبنانية في ٣/ ٢/ ٨٩ عن لولوة القطامي، وهذا المفهوم تروج له وسائل الإعلام وعدد من الكتاب والفنانين.. وأخص المجلات ذات الألوان الفاقعة.

ثالثاً: إلغاء الزواج
واعتباره زنا رسميا

واستمراراً في الصفاقة، والغش المنهجي، ولي المصطلحات «ببسالة» يعتبر القوم الزواج زناً رسمياً، ويعدون المشاعية الجنسية حرية وثورة وحداثة وحسن سلوك؟!!.

هل يكفي العجب من ذلك؟!

إن هذا المنهج الساقط، والعبث المزري يتفق عليه أصحاب الاتجاهين: الأسرة، ومحاولة إلغائها، والقضاء عليها.

واقرأ معي هذا العجب: يرى الشيوعيون أن الزواج زنا رسمي (هكذا) بينما المشاعية الجنسية هي

الصورة المثلى للثورة الجنسية

○ يقول تومسون:

إن الجانب الحيواني الصرف من اللذة الجنسية يشتريه الطرف الأغنى بأبخس ثمن تفرضه المزاحمة، ثم يصرح بأن:

الزواج رياء، والبيت هو سجن المرأة مدى الحياة

○ وأعلن السيمونيون[1] أن ديانة سان سيمون إنما جاءت لتضع حداً لتلك التجارة المخزية والبغاء المشروع (؟!!) ـ الذي يكرّس تحت اسم الزواج في غالب الأحيان ـ بالاتحاد البشع بين التفاني والأنانية.

○ وفي البيان الشيوعي Communist Manifeste الذي شارك في وضعه كل من ماركس وإنجلز:

لشدّ ما يضحكنا ذعر البرجوازية المبالغ فيه من مشاع النساء الرسمي الذي يزعمون أن الشيوعيين يدعون إليه، فالزواج البرجوازي ـ في واقع الأمر ـ ما هو إلا:

مشاع النساء المتزوجات (؟!!)

قصارى ما يمكن أن يتهم به الشيوعيون هو أنهم
يريدون إحلال مشاع صريح ورسمي للنساء،
محل مشاع مقنع للمرأة[2]

○ ونشر **ماوتسى تونج** مقالات هاجم فيها الزيجات المدبرة من الأهل، وقال: إن سلطة الزوج آخذة في التداعي، وإن النظام العشائري، والقضاء على الخرافات الدينية، وإزالة العلاقات الظالمة بين الرجل والمرأة ستتم نتيجة طبيعية للانتصار في النضال السياسي والاقتصادي.

١ـ القديس سيمون: كومت كلود هنري دي روفروي، فيلسوف فرنسي من مواليد أكتوبر ١٧٦٠، ومات في ١٩ مايو ١٨٢٥، اهتم بدراسات علم الاجتماع وأسس ما أطلق عليه اسم: دين الاشتراكية، وأول كتبه كان Geneve Letters d'un habitantde تبلورت أفكاره عن دينه الجديد في كتابه المسيحية الجديدة Christianism Noveau الذي ألفه في آخر عمره، ونادى فيه بعدالة اجتماعية عنيفة، والرجوع إلى النصرانية الحقه بما تحمل من نظرة خاصة للفقراء، ومنها كذلك قضية الزواج، وبعد موت القديس سيمون نظم أتباعه (السان سيمونيون) أنفسهم إلى مجتمع شيوعي، وقد تأثر بالأفكار السيمونية كل من جون ستيوات ميل وتوماس كارلايل وهنريك هاين والشيوعي فردريك إنجلز.
Encyclopaedia Britannica 796/ VIII

٢ـ النقول السابقة عن المرأة والأسرة: ١٠٩٥، ١١٠٦، ١١١١، ١١١٢.

ويقول **تروتسكي**: لقد سعت الثورة ـ ببطولة ـ إلى هدم البيت العائلي القديم المتداعي، الذي يشكل مؤسسة بالية روتينية خانقة، تقضي على المرأة من الطبقات الكادحة بالأشغال الشاقة من الطفولة إلى الممات.

○ وفي الغرب تقول **هافلوك أليس**:

الحقيرة فعلاً ليست هي البغي، وإنما هي ـ بالأحرىٰ ـ المرأة التي تتزوج للمال، فهي تنال أقل مما تناله الأولى بكثير، وتقدم بالمقابل عملاً وعناية أكثر، وتكون مرتهنة بملكيتها لسيدها (؟!)[1].

○ وتقول المتطرفة **نوال السعداوي**[2]:

إن الزواج في مجتمعنا أصبح نوعاً من البغاء المقنع، لأن الفتاة لا تتزوج برجل تريده وتحبه فتكون العلاقة بينهما شريفة (؟!) ولكنها تباع له، فالأباء يختارون لبناتهم الأزواج الأغنياء.. إلخ.

وهكذا تسقط ـ أو يراد أن تسقط ـ مؤسسة الزواج، لتحيا المشاعية الجنسية، وعلى عادة الشيطان الرجيم[3] في صناعة وفبركة المصطلحات المغلوطة، واختراع المفاهيم المقلوبة، وجدنا ـ على لسان القوم ـ:

الزواج بغاءً، والزواج رياءً، والزواج مؤسسة روتينية خانقة آخذة في التداعي، كما وجدنا المرأة ـ في بيتها ـ أمة مستعبدة.
بينما صار الانفلات حرية، والبغاء ثورة، وهدم البيوت على رؤوس ساكنيها حضارة ورقياً.. ألا ساء ما يزرون.

١ـ عبدالهادي عباس ص: ٩٨٨ وما بعدها بتصرف واختصار غير مخلّين.

٢ـ المواجهة: ١٣١.

٣ـ فهو ـ لعنه الله ـ الذي أخرج أبوينا من الجنة، بدعوى حرصه على ان ياكلا من شجرة الخلد وكان الخلد في بقائهما في الجنة، بينما الموت في خروجهما منها، وهو الذي أوحى إلى أوليائه ليحيوا سنة شيخهم إبليس في تشويه المصطلحات، وتعويدهم على إنكار المعروف ومعرفة المنكر.

رابعاً: الاستباحة الجنسية المطلقة

ومن أظهر مقاصد القوم دوراناً على ألسنتهم استباحة كل شيء في الجنس بحيث لا يقوم دونه مانع شرعي ولا قانوني ولا عرفي.

فالزنا هو الحد الأدنى في الاستباحة، ووراءه عمل قوم لوط، والسحاق، وإتيان المحارم، وإقامة حفلات تبادل الزوجات، وتنظيم نوادٍ ونقابات ومحال عامة لكل أشكال المعاشرة الطبيعية أو المغرقة في الشذوذ والبهيمية.

والتساهل الشديد في هذا الأمر يبدو جلياً في المجتمعات الأوربية المتحضرة حيث تباع وسائل منع الحمل في الشوارع بالموزع الآلي المنتشر هنالك، تماماً كثلاجات المرطبات الموجودة على الطرقات.

وحيث تهيب الإعلانات «الصحية» بالفتيان والفتيات أن يتزودوا بالأكياس الواقية Condoms قبل القيام برحلات معاً، وحيث تمارس الفتاة حريتها الجنسية من سن الخامسة عشرة.

وحيث لا يعاقب القانون ـ ولا غيره ـ على العلاقات الشاذة بين البالغين المراهقين.

وحيث نشأت محلات ونوادي تبادل الزوجات، ليصرح أحد القضاة الفحول بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً: إذ لا يوجد في قانون عقوبات الولاية ـ كاليفورنيا ـ بند يحرم تبادل الزوجات.

وحيث تنشأ طوائف من ماركة طائفة أونيدا Oneida التي أطلق مؤسسها جون همفري نويس نظريات تتحدث عن المشاعية الجنسية الكهنوتية، زاعماً أن امتلاك المرأة لرجل واحد هو إثم، فالمرأة في

المجتمع الأونيدي ملك للجميع، ليصل الجميع إلى المسيحية الكمالية والزواج الجماعي[1].

وبمناسبة الكهنوتية ها هو أسقف أدنبرة - رئيس الكنيسة الأنجليكانية في أسكتلنده - يرى أن الخيانة الزوجية لا تعتبر خطيئة، فالرجل وُلد ليكون له العديد من العشيقات وعلى الكنيسة أن تدرك أن الإنسان لم يخلق ليكون وفياً مخلصاً طول حياته.

وذهب الأسقف المبجل إلى أن الخيانة الزوجية أمر فطري، لأن الله تعالى أعطانا موروثات جنسية نشطة، ولذا فإن من الخطأ أن تدين الكنيسة الأشخاص الذين يسعون لتلبية رغباتهم الجنسية خارج إطار العلاقة الزوجية[2].

ويبدو التساهل الشديد في كثير من المجتمعات الإباحية في المنظومة الشيوعية «الساقطة» لإحلال المشاعية الجنسية محل الزنا الرسمي على حد قولهم.

١- The Family: 358, 359 وطائفة أونيدا - Oneida Community - طائفة نصرانية تسمي نفسها شيوعيي الإنجيل أو المسيحية الكمالية - Parfectionists - أسسها جون همفري نويس سنة ١٨٤١ وهو قس كان يدرس الحقوق فهجرها واتجه لدراسة اللاهوت بمدينة Yale الامريكية، وبدأ دعوته إلى الكمالية النصرانية التي يتحرر فيها الشخص من كل خطيئة، مبشراً أن العودة الثانية للمسيح عليه السلام قد تمت من خلاله هو وجماعته ومذهبه.

وكان نويس يرفض تماماً الزواج الاحادي، ومارس هو وأتباعه المشاعية الجنسية بحيث تكون كل امرأة في المجتمع الأونيدي زوجة لكل رجل فيه، وكل رجل زوج لكل امرأة.

واعتقد نويس أن الاشتراكية بدون الدين كلام فارغ، وأن الأسرة الونيدية الممتدة - كما أنشاها - تقضي على الأنانية، وتتجه بالناس نحو الكمالية المسيحية.

٢- الأسرة - يوليو ١٩٩٥م وفي دراسة عن الكنيسة والانحراف الجنسي كتب أبو إسلام احمد عبدالله عن قطاع كنسي كبير يقبل، أو يدعو إلى الشذوذ الجنسي أو يمارسه مع دعوى أنه أمر إنساني، وذكر من أولئك: عالم اللاهوت البريطاني جون ستيت القسيس الخاص بالعائلة المالكة في بريطانيا، والقساوسة ديريك بيلي، ومالكوم، وكنيسة الكويكرز، وكنيسة المبثوديست محتجين في ذلك ببعض ما ورد في الكتاب المقدس (؟!) وبالتكوين البيولوجي، وبالمرونة الأخلاقية التي تدعو إليها مدرسة أخلاق الموقف وببعض ما ورد في الإنجيل.. انظر «الكنيسة والانحراف الجنسي» - ص١٩ وما بعدها.

وكذا في عدد من المجتمعات في جزائر المحيط الهادي، وفي عقائد الطوائف الدينية المنحرفة كعبدة الشيطان والداوديين وصن مون ومعبد الشمس وغيرهم.

والكلام في الاستباحة يطول، وننقله من أفواههم وكتبهم ومجلاتهم:

○ الجنس خارج إطار الزوجية Extramartial marriage أمر شائع بين الأمريكان، فطبقاً لدراسة قديمة أجراها لويسنز سنة ١٩٧٧ فإن ما بين ٥٠ و ٧٠٪ من الرجال الأمريكان لهم علاقات خارج فراش الزوجية، وطبقاً لدراسة ما ينكو ما يكوفيتش التي أجريت قبل ذلك بسنة فإن ٣٢٪ من الزوجات يفعلن ذلك.

○ الرجل الأمريكي - وغيره من الأوربيين المتحضرين - يتمنى أن يتزوج من عذراء، وقد أجرى ليفن دراسة حول ذلك فوجد أن ٩٠٪ من النساء المبحوثات متزوجات بدون عذرية.. وتصل الدرجة إلى صفر حيث انعدمت العذراوات في بريطانيا في الأعوام الماضية انعداماً تاماً، وأغلق صندوق الجائزة التي كانت تمنح للفتاة العذراء ليلة زفافها[١].

○ كثيراً ما يكون عقد الزواج مشروطاً - كما يقول Zinkins - بالاستقلالية والحياة الجنسية الخاصة[٢].

○ ظاهرة تبادل الزوجات Spouse Swappiny ظاهرة موجودة في الطبقة الوسطى في أمريكا، وهي شكل من أشكال الحرية الجنسية للمرأة، كما تذكر ذلك Duane Denfeld ، ويزعم شارلز فارني أن هذا النوع من العلاقة الجنسية يزيد من الإحساس بالتقارب، والحب بين كل من الزوج والزوجة، ويزيد بينهما الثقة (؟!!).

١- انظر: تجفيف منابع الأنوثة - ص: ٢٧.

٢- The Family, P. 908 - 358.

وأشار Breed Love إلى أن مليونين ونصف مليون من الأزواج الأمريكيين ـ ٥٪ من مجموع المتزوجين ـ مارسوا تبادل الأزواج بانتظام سنة ١٩٦٤، وأن التقديرات الحديثة تقول إن ٢٪ ـ مليوناً كاملاً ـ لا يزالون يفعلون هذا[١].

○ علاقة التساكن المجرد Commuter marriage ـ وهي تعايش زوجين دون جماع في إطار الزوجية بالاتفاق على ذلك، وكلٌّ حر خارج إطار الزوجية ـ موجودة شائعة بين الأزواج من الطبقة الأمريكية العليا.

○ الزواج الحر أو المفتوح Open marriage المنطلق من قيود النوع الإنساني ـ ذكورة وأنوثة ـ والمتحرر من القيود الجنسية التقليدية، زواج موجود ومشروع، ويقوم على الممارسة التبادلية المفتوحة التي لا تجعل من الزواج سجناً للناس كما يقول O'neill[٢] وهناك جمعيات نشطة في الدعوة إليه، وتحبيبه إلى الناس.

○ البغاء المرخص به Sex on Sale والذي يتم تحت إشراف حكومي مباح في أمريكا وأوربا الغربية كلها باستثناء إيطاليا والبرتغال وكندا واستراليا وأمريكا اللاتينية وشبه القارة الهندية وبورما ولاوس والفلبين وتايلاند وباكستان وتركيا وبقاع أخرى كثيرة، وكان متاحاً وقانونياً في كثير من بلاد المسلمين أيام رزحت تحت وطأة الاستعمار، الذي حرص بشدة على تلويث الأعراض، ونشر الرذيلة لتفكيك قوى الشعوب.

وهناك شبكات للبغاء العالمي تباع فيها المرأة وتشترى، وتنقل من مكان إلى مكان، وترسل كتالوجات للبغايا، والصبيان الذين تضمهم الشبكات المنحرفة.

١ـ The Family: 360

٢ـ السابق.

وقد أعلن أحد المسؤولين بالأمم المتحدة أن مليون طفل يباعون، أو يدخلون سوق الجنس كل سنة، واستند في ذلك إلى تقرير من النرويج، وذكر أن ثمة خمس شبكات كبرى لهذه التجارة المخزية:

الأولى في أمريكا اللاتينية ـ وتتعامل مع أوربا الغربية والشرق الأوسط ـ والثانية في جنوب شرق آسيا، والثالثة شبكة إقليمية للاتجار بالفتيات الصغيرات اللاتي ينحدرن من أمريكا الجنوبية، والرابعة تختص بتصدير أطفال من أفريقيا الغربية، والخامسة شبكة عربية إقليمية[1]!!.

وقد ارتفعت معدلات ممارسة البغاء في بعض المناطق كما يلي:

في كندا بين	٦٩ – ١٩٨١	١٥١٪
في أمريكا بين	٧١ – ١٩٨١	٧٤٪
في فرنسا	٦٣ – ١٩٧٣	٥٦٪

○ وهناك السياحة الجنسية، حيث يطير مئات الألوف من الرجال سنوياً للمراكز المختلفة في جنوب شرق آسيا لقضاء عطلة جنسية، وترتب الرحلات شركات قانونية تقدم للزبون رحلة الطيران والفندق وعدداً متفقاً عليه من النساء[2].

○ وهناك نظرية الاختيار الحر Open Choice في المنظومة الفكرية الغربية وتعني أن كل الجنس المخالف ـ ذكوراً وإناثاً ـ في المتناول، لترتيب لقاءات فاجرة دون الخضوع لقيود مصطنعة، وتعني أيضاً أن أحدهم إذا لم يقتنع بالمرأة التي عاشرها ـ أو العكس ـ فإن له مطلق الحرية أن يفتش عن غيرها، تلبية لاحتياجاته الشخصية[3].

١ ـ الشرق القطرية ٣/٩/٨٩ ومعظم المتايدزين العرب هم من زبائن هذه السياحة الحقيرة.

٢ ـ Women in the world: 101

٣ ـ The Family: 178

○ ظاهرة التعاشر من غير زواج Cohabitation مسألة متاحة وواسعة الانتشار ـ خاصة في الطبقة الوسطى وبين طلاب المدارس الثانوية والجامعات ـ وكانت بدايتها تحت سمع وبصر المربين، وبين الشبان الذين يتعلمون في جامعة واحدة[١].

وقد أثبتت الدارسات أن الذين يتعاشرون أقل تديناً، وأقل ذهاباً للكنيسة من غيرهم، وأكثر تحرراً من الضوابط القانونية والدينية[٢].

وفي المجتمع الفرنسي يعيش ما بين ثلاثين وأربعين في المائة من الفرنسيين في إطار علاقات جنسية منتظمة وباكرة مع شريك.

ولا تحمل هذه المعاشرة أي التزام بمدة، ولا أي ارتباط. وترتفع النسبة في العائلات الراقية، وأصحاب المهن الحرة، بينما تقل في الريف[٣].

○ ظاهرة المواعدة Dating ينشأ عليها الطفل الأمريكي؛ إذ يدفعه أبواه للتواعد مع الفتيات منذ سن مبكرة ١٣ سنة، وقد أجرى John Diepold دراسة أثبت فيها أن ٥٠٪ من الصبيان والبنات واعدوا قبل الخامسة عشرة.

وأجريت دراسة في جامعة بنسلفانيا سنة ١٩٧٧ أثبتت أن المواعدة المتكررة المنتظمة Regular Dating بدأت مع أغلبية البنات من سن ١٤، ومع أكثرية البنين من سن ١٥[٤].

○ اتجهت القوانين أخيراً في الولايات المتحدة وأوربا إلى استباحة تزويج الشواذ بشكل كامل، وتوريثهم، وإقامة النقابات والمؤسسات والنوادي لهم وبات ذلك مقبولاً بعد تحريم[٥].

١ـ Family & Transation: 201

٢ـ Family & Transation: 215

٣ـ عبدالهادي عباس: ١٠٣٩.

٤ـ The Family: 180

٥ـ Family & Transition: 255

وقد نشرت النيوزويك[1] موضوعاً مطولاً - يثير التقزز - عن تعدد الأزواج المختلط في أمريكا - وهو مزج لعدة أشكال من الاستباحة - ويعني أن يكون للزوجين - بجانب العلاقات الزوجية العادية - علاقات شاذة مع آخرين - بالتراضي بينهما - فيصادق الزوج رجالاً شواذ، وتصادق المرأة الزوجة نشاءً سحاقيات.

وقد نقلت المجلة بإسهاب طويل - أشبه بالدعوة للأمر والتنزيين له - آراء عدد كبير من هؤلاء، واحتجاجهم بأسماء فنية لامعة كانت تفعل ما يفعلون، من أمثال جيمس دين، وكاري جرانت، ومايكل ستيب، وراكيل ويليامز، وساندرا برنارد، وبيلي هوليداي، ومارلين ديتريتش وغيرهم.

وأشار التحقيق المطول إلى أن هناك ١٤٠٠ مجموعة من هذه المجموعات التي تعدد الأزواج الشاذين تنتشر في أمريكا وحدها، تحت أستار كثيرة، وصاروا يجهرون بذلك، ويقيمون له الجمعيات القانونية.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا هو الغرب الذي ظل ينفخ في سَحْرِ أذنابه عن تعدد الزوجات في الإسلام - المنضبط بضوابط شرعية دقيقة - ليستبيح هذا النوع من التعدد الشاذ، بينما هو ينشئ الأفلام والمسلسلات المغرضة التي يسخر فيها من التعدد، وتعرض في التلفزيونات الإسلامية تحت سمع وبصر الرقابة، ودون ما اعتراض من أحد[2].

١- ١٧/٧/١٩٩٥

٢- رأيت بنفسي حلقة من المسلسل الأمريكي الدعائي **What a Country** يسخر فيه أبطاله الاباحيون من زميل لهم باكستاني متامرك، يتحدث عن الزواج باربع في الإسلام، ويبدو أبله راغباً في الانسلاخ حتى العظم، كارهاً لدينه وقومه؛ لينتهي الأمر بمباركة المخادنة والعلاقات الحرام مع السخرية بالدين الإسلامي وشعائره.

○ رعاية الدول للأبناء غير الشرعيين، فالقانون الفرنسي مثلاً ـ ١٩٧١ ـ يساوي بين الأبناء الشرعيين وغير الشرعيين، مما جعل بعضهم يعده جائزة ممنوحة للقران الحر، وعدّه بعضهم خطوة تقدمية لإقامة أسرة مبنية على أساس التطور الاجتماعي[١].

والإحصاء التالي يوضح طرفاً من بشاعة نسبة انتشار المواليد غير الشرعيين في منطقة الكاريبي، وهي منطقة فيها الاستباحة على أشدها:

نسبة المواليد والأمات اللاتي يعشن خارج الزواج الرسمي في منطقة الكاريبي سنة ١٩٨٠[٢]

البلـــد	النسبة	البلـــد	النسبة
سانت لوسيا	٪٨٧	ترينداد وتوباجو	٪٤٢
دومينيكا	٪٦٥	برمودا	٪٣٠
أنتيجوا	٪٧٧	لبهاما	٪٤٢
بربادوس	٪٧٣	جواد بلوب	٪٤٣
المارتينيك	٪٥٦	جزر كايمان	٪٣٣
جرانادا	٪٥٢	بورتوريكو	٪١٩
الجزر العذراء	٪٥٠	جامايكا	٪٧

١ ـ عبدالهادي عباس: ١٠٣٧.

٢ ـ Women in the world: Mothers: 6

وإذا كان هؤلاء يذهبون هذه المذاهب في الاستباحة ـ على كفرهم ـ فإن من بين العربيات المسلمات من تدعو إلى هذا كله، ومن المسلمين من ينادي بهذا وأكثر منه دون مواربة ولا لف ولا دوران.. **واقرأ معي هذه التصريحات:**

– بدأ العلماء يرفضون استخدام اصطلاح الشذوذ الجنسي (!!) على أساس أن النشاط الجنسي الصحيح هو الذي يحقق لصاحبه الإشباع، وأقصى لذة ممكنة، بصرف النظر عن شكل هذه الممارسة.

– يجمع العلماء على أنه من غير الممكن أن تضع خطاً فاصلاً بين ما يسمى بالرجل الطبيعي والرجل الشاذ.

– ليس من سبب علمي يعطي الرجل حرية جنسية أكثر من المرأة، بل العكس هو الصحيح ـ كما اتضح من البحوث البيولوجية الحديثة ـ التي أوضحت أن «الطبيعة» زودت المرأة بقدرة وحاجة بيولوجية وجنسية أكثر من الرجل.

– لماذا لا يكون الإله امرأة[1]

– هو صوت رافض مشاكس، يزلزله التشكيك في كل ما حواليه، فلا يكترث إلا لرغباته النرجسية الحسية فائقة الشطط[2].

– إن قضية تحطيم هذه الجدران الكبتية في حياة الرجل العربي والمجتمع العربي قضية بالغة الأهمية، فإذا استطعنا أن نخرج من عقدنا الجنسية استطعنا أن نتحرر من كثير من الزيف الذي يطغى على جوانب أخرى من حياتنا...[3]

١– هذه بعض مقولات نوال السعداوي في كتبها: المرأة والجنس، والرجل والجنس، والأنثى هي الأصل وغيرها.. راجع: حق المرأة ١٣٥/ ١٩٥، والمواجهة.

٢– محمد زفزاف في أصوات ثقافية ج ٢/ ١٥٧، الدار العالمية والنشر، بيروت ١/ ٨٤.

٣– عبدالحميد بن هدوقة.. أصوات ثقافية ١/ ٩٢.

- في نهاية الأمس أعطيت ثلاثة نماذج للعملية الجنسية نفسها بغية أن أقول إنها في حد ذاتها كأي عمل آخر لا تمثل خيراً ولا شراً...[1]

- سالمة فكر متحد لا يرضى الانصياع، وجسد يبحث عن لذته دون أن ينصاع لرجل واحد، لنمط واحد من اللذة[2].

- كأنما الكاتب يريد أن يقول: لا شيء ينبغي أن يمنع، لننظر إلى جسم الإنسان دون أن تطرف لنا عين[3].

واقرأ ما ينشر في بعض المجلات الفنية بأقلام مستنيرين مسلمين:

نحن في القرن العشرين، ومن حق كل واحدة أن تفعل ما تشاء، وأن تعشق بطريقتها التي تقتنع بها، وأن تختار بالطريقة التي تشبع مشاعرها، وتتماشى مع تفكيرها، فلسنا في عصر الجواري والإماء والمحظيات، نحن في عصر الاختيار، وأن تفعل كل واحدة ما بدا لها[4].

❑ ❑ ❑

١- السابق.

٢- السابق: ١١٧.

٣- د. علي الراعي في نقده لرواية المرأة والوردة لمحمد زفزاف.. اقرأ: الفصل الثالث: نظرة تطبيقية.

٤- الكواكب: ع٢٢٦١/ نوفمبر ١٩٩٤م.

خامساً: تفكيك الأسرة وهدمها

لا شك أن مقولة الثورة الجنسية التي تبناها كل من الفكر الرأسمالي الاستباحي، والفكر الشيوعي الملحد، إنما امتاحت من بئر واحدة، وبسقت أغصانها من دوحة واحدة، فكلا الفكرين ابنٌ للتمرد على الكنيسة وأوامرها، ووليدٌ للهوى المطلق الذي يتبع الشهوات، ويعبّد نفسه للملذات، لا يريد على ذلك رقيباً، ولا يقبل فيه حسيباً.

فأما في الفكر الشيوعي ـ الساقط ـ فقد طرحت الثورة الجنسية الشيوعية شعار إلغاء العائلة، من خلال أفكار **ماركس وإنجلز** وغيرهما، ومن خلالها ذهب **رايخ** إلى أن الركن الأساسي في نظرية الثورة الجنسية هو:

تفكيك العائلة وإلغاؤها

يقول **رايخ**: كما أن العائلة تدمر العشيرة في المجتمع البدائي(!!) فإن الجماعية الاقتصادية تدمر العائلة في مهد الشيوعية.

وقد أصدر **لينين** مرسوماً يقضي بإلغاء الزواج، وعلل **إنجلز** ذلك بأن العائلة هي ثمرة تطور مصالح اقتصادية، تتكرس فيها عبودية المرأة وتبعيتها للرجل، وكذا عبودية الأطفال وتبعيتهم للأهل(؟!!)[1] **ويقول**:

إن الثقافة النابعة من تلك الأفكار تنساق وراء فرضيات انتهاء الزواج وإلغاء العائلة وهي تحل الجنس.. محل العقل[2].

١- وهكذا صيروا أنفسهم أحنى على الأطفال من آبائهم وأمهاتهم، رغم اشتهارهم بالمذابح الجماعية، ومنافي الصقيع في سيبريا (!!).

٢- انظر: حق المرأة: ٦٤ وما بعدها.

وفي مرحلة قيام الثورة البلشفية ارتفعت أصوات تدعو إلى إلغاء **الأسرة التقليدية**[1] كصوت **ألكسندرا كولونتاي** التي اعتبرت الأسرة مؤسسة مرتبطة بالاستبداد والسيطرة، وأن المرأة في هذه الأسرة لا تعدو أن تكون جارية مستعبدة، ولذلك كان شعار **لندمّر الأسرة** يجد التسويغ والترويج.

يقول **تروتسكي**: لقد سعت الثورة ـ ببطولة ـ إلى هدم البيت العائلي القديم المتداعي، الذي يشكل مؤسسة بالية روتينية خانقة، تقضي على المرأة بالأشغال الشاقة من الطفولة إلى الممات[2].

وتحقيقاً لهذه النظرية سعت الشيوعية إلى خطوات عملية، في محاولة منها لهدم الأسرة وتفكيكها بعدة وسائل منها:

– في عام ١٩٤٤ أصدر ستالين قراره الشهير بتشجيع إنجاب الأطفال غير الشرعيين، وأعطى الأم (غير المتزوجة) أو المهجورة نفس الحقوق التي للمرأة المتزوجة[3].

– أقام فيدل كاسترو في كوبا مشاعات جماعية في جزيرة الصنوبر تجربة منه لزيادة الإنتاج[4].

– تبنت الثورة البلشفية شعاراً صريحاً دعت إليه وروجت له هو: لندمر الأسرة.

١– أكثر أصحاب الفكر الاشتراكي من استخدام مصطلحات مثل الرجعية والتخلف والاستبداد والتقليدية، وهي موجة تعود الآن بعنف لتمارس على العقول نوعاً من الإرهاب اللفظي والغش الفكري الذي سقط في أحابيله كثيرون، فقبح في نظرهم كثير من الألفاظ الشريفة مثل السلفية والأصولية والسنية والشرف والحجاب.

٢– السابق، ولاحظ أن المرأة الشيوعية هي أتعس امرأة في العالم الآن، فقد غزت المواخير وعلب الليل بحثاً عن فتات، وكانت من قبل كاسحة للجليد وعاملة للنظافة، ومناولة في مصاهر الحديد والصلب.. فهل هذه السعادة ـ الأولى والثانية ـ هي التي قتلوا الملايين من أجلها؟
لاحظ أيضاً أن أكثر دعاة تحرير المرأة العرب ـ قبل الجلاسنوست والبروسترويكا ـ كانوا شيوعيين.

٣– ص: ١١٧٢: المرأة والأسرة.

٤– السابق: ص: ١٢٠١.

رأى **رايخ** أن الحق الجنسي يرفض أي كبت ـ تحت أي مسمّى كان ـ ودعا إلى أن **تأخذ الرغبات الجنسية مداها المشبع والعلني**، منذ الطفولة وحتى آخر العمر، مع ما يتضمنه ذلك من: إلغاء العائلة والزواج الأحادي[١].

وفي الرأسمالية اعتبر **هربرت ماركوز** أن الجنس هو البديل عن العائلة، فهو يتحول إلى أداة للتماسك الاجتماعي (!!) باعتباره أمراً حتمياً[٢].

وعلى الطريق نفسه لم يجد **سلامة موسى** في البيت شيئاً يستحق أن ترصد له الزوجة نفسها ووقتها وفراغها[٣].

وصرحت إحدى الفنانات في حديث صحفي مع رئيس تحرير كبير بأن البيت عائق كبير في طريق الفن فقالت:

إن الفنانة لكي تنجح لابد أن تكون «**صايعة**» ـ هكذا ـ وألا تكون ملتزمة ببيت وزوج، وأن تعيش على هواها، وتسهر كما تشاء.

وعلق الصحفي الكبير بأن كلامها صحيح ٩٠٪[٤].

كلام صريح وواضح، لا ترى فيه لبساً ولا مواربة:

(تفكيك العائلة وإلغاؤها ـ لندمر الأسرة ـ إلغاء الزواج الأحادي ـ «الصياعة» على حد التعبير السابق).

فلا بنوة، ولا أبوة، ولا زوجية، ولا أرحام.. وإنما هو عالم كعالم البهائم، يقضي الحيوان فيه نُهمته ثم يمضي، بل ربما كانت بعض فصائل الحيوان أحرص ـ في بعض فترات حياتها ـ على شكل الأسرة، فأي انحدار هذا الذي يدعون إليه؟!.

١ـ السابق: ٦٦.

٢ـ خليل أحمد خليل: ١٤٧.

٣ـ المرأة ليست لعبة الرجل: ص ١٠.

٤ـ ندى: ١٩ أكتوبر ١٩٩١م.

وإذا كانت الشيوعية قد تعفنت في حفرتها التي رميت بها فإن الاستباحة الغربية، تؤصل لهذا المنهج، وتتبناه بمنتهى القوة، وتحاول إلزام دول العالم كلها به، فوثيقة مؤتمر المرأة الذي عقد في بكين تتحدث عن النوع لا عن الجنس، لإلغاء فكرة الذكورة والأنوثة والإنجاب، وتنادي بقوة بتكوين أسر على غير نمط الأسرة التقليدية (رجل وامراة) بل من رجل رجل، وامرأة امرأة.. ومجموعة رجال.. ومجموعة نساء، في محاولة لإكمال المخطط الذي بدأته الشيوعية بنسف العائلة[١].

وقبلها كانت وثائق مؤتمر السكان بالقاهرة التي رفضها علماء المسلمين ومؤسساتهم كلها وجماهيرهم، كما رفضها الفاتيكان والكنائس العالمية.

وقد أصدرت رابطة العالم الإسلامي والأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية وغيرها ردوداً رافضة مستهجنة حول وثائق المؤتمرين، واعتبرتهما تدميراً لفضائل وقيم وأصول كثيرة ثابتة في الإسلام، منها مؤسسة الأسرة[٢].

❑ ❑ ❑

١- انظر الشعب ٢٨/٧/٩٥ تفاخر الشواذ ومؤتمر المراة.

٢- انظر تقارير وآراء صادرة عن الأزهر ورابطة العالم الإسلامي حول مؤتمر السكان صفحات ١٨,٩,٧، ٢٨، وفي هذه الصفحات نص على أن الوثيقة تقضي على شكل الأسرة، وتجعل من المجتمع أفراداً ليس بينهم أي رابط من الروابط الأخلاقية والاجتماعية والدينية التي ترقى بالمجتمع وتؤمن وجوده واستمراره، وتحفظ كرامته وتحافظ على قيمه وأخلاقه.

واقرأ كذلك مشروع برنامج عمل المؤتمر: صفحات ٤١,٢٩-٥٣، ٩٠-٩١.

الفصل الثاني
ذرائع ووسائل الدعوة إلى الحرية الجنسية

الفصل الثاني

ذرائع ووسائل الدعوة إلى الحرية الجنسية

أولاً: الذرائع

من البديهي أن يكون للقوم ذرائع ـ ولو مكذوبة مغلوطة ـ يتوسلون بها إلى نشر دعواهم، وتهيئة العقول والقلوب لقبول باطلهم وإفكهم، فإن فطر الناس، وموروثاتهم العقيدية والاجتماعية ستجعل من العسير جداً أن ينتقلوا من التحفظ في العلاقات إلى الإباحية المطلقة، ما لم تكن هناك تهيئة عقلية وإلحاح على الفكر والقلب بالترغيب والترهيب، وبالتعمية والمفاجأة، وبتقديم القدوات الشائهة المنحرفة على أنها نماذج يحتذى بها.

والحقيقة أن القوم تذرعوا بذرائع لنشر بهتانهم وتزويق باطلهم.. لا تثبت أمام المناقشة والحجاج الحر.

فما نصيب هذه الدعاوى من الصحة، وهل يستمر التزييف عندما نضعها على محك المحاكمة العقلية؟! فلنرى:

الذريعة الأولى
دعوى ديناميكية الأخلاق وعدم ثباتها

يعتقد المسلم ـ لزوماً ـ أن شرع الله عز وجل قد كمل، وأن ليس لأحد أن يزيد فيه أو ينقص منه، وأن آخر الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، وأن القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ حويا ـ من التشريعات ـ تشريعات أخلاقية سامية، لا يجوز أن تبدل ولا أن يُتحايل عليها، لهوى نفس، أو شهوة، أو مصلحة، وإنما الفضائل ـ كالعفة والوفاء والصدق وما شابه ـ هي جزء من دين المرء، عنه يسأل يوم القيامة، محسناً أو مسيئاً.

وقد وكل الله تعالى بهذه الأخلاق إلى ثلاثة أنواع من **الوازع** هي: الجبلّية والدينية والقانونية (السلطانية)[1].

فالوازع الجبلي هو الفطرة السوية التي تستنكف القبيح، وتأنف من العوج، وتأبى إلا المكارم ومعالي الأمور «**إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها**» صحيح الجامع الصغير ج١ / ١٨٨٩.

ولذلك رأينا بعض الناس في الجاهلية يزعون أنفسهم عن الدنايا تسامياً وأنفه:

فها هي هند بنت عتبة ـ رضي الله عنها ـ لما دخلت الإسلام جاءت لمبايعة النبي ﷺ، فكان مما طلب منها: أن تبايع على ألا تزني، فقالت متعجبة:

---

١ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور: ١٢٦ وما بعدها.

أو تزني الحرة يا رسول الله ؟!(١) .

وها هو **أبو بكر رضي الله عنه** يأبى أن يشرب الخمر في الجاهلية، لأنها تزري بالرجال وتنتهك المروءات، ففي حلية أبي نعيم ومنتخب كنز العمال وتاريخ السيوطي يُروى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية، فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام، وذلك أنه مر برجل سكران يضع يده في العذرة، ويدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صدف عنها، فحرمها أبو بكر على نفسه(٢) .

وها هو **أبو سفيان رضي الله عنه** ـ في الجاهلية ـ يأبى أن يكذب على النبي ﷺ ـ رغم شدة العداوة ـ لئلا تؤثر عليه كذبة(٣) .

هذا الوازع الجبلي. . وأما **الوازع الديني** فبالثواب والعقاب، وبمعرفة الحلال والحرام، ويأخذ النفس بالمراقبة في السر والعلن، وإحياء وتقوية النفس اللوامة.

«وليس من العسير قلب الوازع الديني إلى وازع جبلّي، بتحذير العقاب، وبث التشنيع في العادة، فإن كثيراً من الأمور التي تظهر في صورة الجبلّيات ما كانت إلا تعاليم دينية، مثل ستر العورة، ومحرمية الآباء والأبناء» .

وقد نجد مباحات مذمومة بتنزه الناس عنها لمذمتها، فقد كان أهل الجاهلية يبيحون تزوج الابن زوجة أبيه بعد موته، ومع ذلك فهم يسمونه: نكاح المقت.

وقيل **لأبي عليّ الجبائي**: إنك ترى إباحة شرب النبيذ وأنت لا تشربه!

١- انظر: فقه السيرة للبوطي: ٢٦٧، أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن مردويه وغيرهم وأصله في الصحيحين وغيرهما. انظر: المحرر الوجيز ١٤/ ٤١٦ .

٢- أبو بكر الصديق للطنطاوي: ص ٦٦ .

٣- البخاري في كتاب الجهاد، عن رحمة العالمين: ١/ ١٨٢ .

فقال: تناولته الدّعارة فسمُجَ في المروءة[1].

ومتى ضعف الوازع الديني في زمن أو قوم أو أحوال يُظن أن الدافع إلى مخالفة الشرع في مثلها أقوى على أكثر النفوس من الوازع الديني يصار إلى **الوازع السلطاني** (وازع القانون والمؤاخذة النظامية) كما قال عثمان رضي الله عنه: (**يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**)، ولهذا أحدث عمر رضي الله عنه «ولاية الحسبة»[2].

فماذا عند القوم من هذا المفهوم الإسلامي؟

يسطح **عبدالهادي عباس** معنى الفضيلة [3]فيرى أنها المعرفة، وأن السعادة الحقيقية بممارسة الطاقات وليس بكبت الرغبات.

ويرى أن الإيمان إيمان بالنفس وثقة بالحياة، وليس مجرد الإيمان بنصوص وتقاليد يحفظها الإنسان منذ الطفولة.

وبهذا صارت الفضيلة عنده ـ أو السعادة المتولدة عن الفضيلة ـ هي التمادي في العبّ من الشهوات وليس في ضبطها، لا كبتها كما يزعم[4].

كما يذهب إلى أن العفة بالمفهوم الإسلامي تحولت إلى فضيلة لأسباب اقتصادية هي الملكية، إذ البكارة ـ في زعمه ـ امتداد للشعور بالملك الذي أحسه الرجل إزاء زوجته، بعد أن أصبحت الأسرة أبوية، وازدادت قيمة البكارة بارتفاع مهر الأبكار.

١ـ ليس المراد بالنبيذ هنا النبيذ المعروف المسكر wine بل هو شراب يترك حتى يكون في أوائل اشتداده قبل أن يقذف بالزبد ويصير مسكراً، وهذا هو محل كلام الفقهاء، أما النبيذ المسكر فهو خمر حرام إجماعاً، فلا يفهمن أحد أن من فقهاء المسلمين من أباح النبيذ المسكر المشتد، كما يشيع بعض الجهال.

٢ـ مقاصد الشريعة الإسلامية: ١٢٦ وما بعدها.

٣ـ المرأة والأسرة: ١٢٩٨.

٤ـ السابق ج١/ ١٣١ ولا شك أن الانطلاق الأهوج غير المستبصر هو منهج الثيران والحيوانات العجماء، ولا شك ـ كذلك ـ أن الانفلات الخلقي هو ضرب من الارتكاس بالبشرية إلى مستوى أحط لذا كان للإسلام منهج في ضبط وتوجيه ـ لا كبت ـ الغرائز والشهوات، ووضعها في مسارها الإيجابي البناء، لكن القوم ذوو هوى يجعلهم يستقبحون المنظر ويستحسنون القبيح!!.

ويرى **عباس** أن الحقيقة التي يشهد بها التاريخ أن القيم الأخلاقية ليست ثوابت لا يطرأ عليها التغيير (!!) بل هي في تطور دائم ومستمر، وتلك هي أمور حيوية متصلة بضرورات المجتمع وظروفه، ولهذا فلابد من التحرر من وصاية التقاليد ورجالها، ومن ربقة المفاهيم البالية في هذا الشأن[١].

وفي الدراسة التي قدمتها **اليونسكو** دعوى بأن القرآن لم يقدم شرائع خلقية أو قيماً روحية بمعنى الكلمة، وأنه لابد من استحداث تشريعات وأنظمة حديثة لإزالة القيود التي تحد من طاقة المرأة، ولتنظيم الحياة الجنسية[٢].

وكتب **محمد النويهي** ـ في محاولة لتسطيح المنهج الأصولي الإسلامي ـ ولاتزال كتاباته رائجة، ولايزال كثير من المشبوهين يتبنونها، لابسين أوشحة المنهجية والتأصيل والتعالم، كتب في الآداب اللبنانية ١٩٧٠ زاعماً أن كل ما في القرآن والسنة ومذاهب الفقهاء من تشريعات لا تتناول العقيدة وما يتعلق بها من شعائر العبادة، بل تتناول أمور الدنيا ومعاملاتها وتنظيمها وعلاقاتها، كلها ـ بلا استثناء ـ ليست ملزمة لنا في كل الأحوال، حتى ما كان منها في زمان النبي ﷺ من بابي الفرض والتحريم (؟!) لم يعد ملزماً بالضرورة كذلك، بل لنا الحق في أن ننقله إلى باب الندب أو الكراهة، إن لم ننقله إلى باب المباح، وهو التخيير المطلق.

وينتقل **هربرت ماركوز** نقلة أخرىٰ أكثر غرابة ومغالطة، فيرى أن في الانطلاق الجنسي والانفلات الخلقي سبباً وأداة للتماسك الاجتماعي باعتباره أمراً حتمياً.

١– السابق: ١٢٩٧، وواضح أنه يغالط، فمتى صار الوفاء بالعهد أو حسن الخلق أو ضبط النفس أو حين الأداء أو ما شابه.. متى صارت مستقبحة بعد أن كانت حسنة؟ ومتى صار البر والإحسان والجد والمثابرة أخلاقاً قديمة؟!.

٢– Boullough - 1973 وكذا ـ Bousquet - 1966 في دراستيهما عن المفهوم الجنسي للإسلام، والمرأة في الإسلام.

ويرى **ويلهلم رايخ** أن نواة السعادة في الحياة هي السعادة الجنسية، وينادي بإزالة الكوابح الجنسية والقلق الجنسي، إذ إنه خلال عملية التطور تزول لدى المريض الجنسي نزعات التصوف والتدين والمعتقدات الخرافية[١].

وعدم ثبات الأخلاق ـ بشكل عام ـ مذهب أوروبي وليس منهجاً إسلامياً، فكثير من الاتجاهات الفلسفية الأوربية تتحرك فيها الأخلاق تحركاً يضطرب بين النفعية التي لا تعترف بقيمة في مقابلة المنفعة، إلى النيتشوية التي لا تعترف ـ أصلاً ـ بالقيم الأخلاقية السائدة، والتي يقرر الإنسان مدى صلاحيتها من عدمه[٢]، إلى الفوضوية والوجودية، ومن المورمونية المتزمتة إلى الليبرالية العلمانية المنطلقة.

وتتراوح الأخلاق الجنسية بين الحسن المطلق عند الليبراليين، والقبح النسبي ـ في بعض صوره القليلة كالشذوذ ـ عند الكنيسة.

ففي معرض الحديث عن الأخلاق والسياسات الاجتماعية ثارت **أسئلة**[٣]:

- هل الزنا خارج إطار الزوجية غير أخلاقي؟
- هل الزنا بدون العمل على الإنجاب غير أخلاقي؟
- هل الزنا بدون حب غير أخلاقي؟

إن كل أشكال الممارسة الجنسية أخلاقية ومقبولة عند الليبراليين ما لم يعتد الممارس على قاعدة قانونية وطيدة، فكل شيء أخلاقي إذن، واللا أخلاقي هو خرق القانون، وما أسرع ما يعترف القانون غداً بأخلاق جنسية يحرمها اليوم فتصير مشروعه مقبولة، وها هي السيدة الأولى في

١ـ صدق وهو غاش، لذا لا يستغرب تركيز الإباحيين على إشاعة الفاحشة ونشر الرذيلة تحت دعاوي الحرية والعنصرية وتنشيط الدخل القومي، بينما القصد الحقيقي هو ضرب الدين ونسف القيم.. انظر: خليل أحمد خليل: ١٤٧.

٢ـ معجم المصطلحات العلمية والفنية: ٢١٤.

٣ـ Social Ethics, Morality and Social Policy: 238 - 240

أمريكا تُسأل عن سن وتوقيت الفاعلية الجنسية للشبان، فتجيب ـ في أخلاقية كاذبة ـ: بعد الحادية والعشرين لا تسألني عن ذلك، ليفعلوا ما يريدون[١].

ويرى الليبراليون أن الشذوذ أخلاقي مثل الزنا، حتى إن حركات كثيرة من مثل حركة تحرير الشواذ Gay Liberation Movement قامت للمناداة بعدم التفرقة في المعاملة بين الأنشطة الجنسية، وتنظم المظاهرات والأندية الخاصة بالشواذ وتنشئ مظلات قانونية عريضة لمساعدة أعضائها والدفاع عنهم.

والأخلاق الأوربية بعامة أخلاق ديناميكية، وهم يقبلون أن يخرج عليهم منظر ينقلهم أخلاقياً من أقصى اليمين لأقصى اليسار، وهم الذين تقلبوا في قرون ـ بل عقود قليلة ـ بين الوجودية والفوضوية والماركسية والإلحاد والعلمنة والذرائعية وغيرها من المناهج الفكرية المتضاربة أخلاقياً.

كما أن وصفهم للأخلاق ـ فلسفياً ـ يتقلب بطريقة حادة بين الأخلاق الكاثوليكية أو المورمونية وبين أخلاق الموقف Ethics of situation التي تقوم فقط على معطيات الموقف، لا على التقيد والالتزام بالقوانين والمبادئ الأخلاقية[٢].

الأخلاق الجنسية إذن لا حد فيها للاستباحة، رغم أن البابا بولس السادس أعلن سنة ١٩٧٦ قانوناً يجرم الجنس قبل الزواج مطلقاً، ويحرم ـ كذلك ـ تحسين الشذوذ والترويج له استناداً إلى ما ورد بالإنجيل عن قوم

١ـ ونص كلامها في مجلة News week في ٢٦ يونيو ٢٩٩٥:

My theory: Don't do it before you are 21, and then don't tell me about it.

ولعلها في ذلك متزمتة لأن غيرها يتوسع ولا يدخر حداً كما سيأتي!!.

٢ـ انظر مثلاً: المعجم الفلسفي ـ ص: ١٣.

لوط وما كانوا يفعلون (الكورنثيين ٦-٩ / ١ على لسان بولس).

كما رأت الكنيسة الكاثوليكية أن الاستمناء حرام وخطر بأشكاله المختلفة، رغم هذا كله فإن الدولة والنظام المدني لا يعبآن كثيراً بقوانين الكنيسة.

بل إن بعض الكنائس لا تعبأ بمثل هذه الفرمانات البابوية، إذ كثيراً ما تتورط في تهيئة أجواء المخادنة والحفلات الصاخبة، بل كثيراً ما يتوسط كبار القسس في قضايا بات الحديث عنها شائعاً حتى بين أساطينهم كجيمس سواجارات القس الشهير[1].

ولا شك أن التضارب الكبير في النظر للأخلاق ومصدرها ومدى إلزاميتها يجعل سلوك الإنسان سلوكاً بالغ التناقض.

مع تأكيدنا على أن قضية الأخلاق عندنا من الثوابت مطلقاً، لأن مصدرها غير قابل للتغيير ولا التجزئة ولا النسخ ولا الاستباحة، فأخلاق مسلم القرن الخامس والعشرين ينبغي أن تكون هي أخلاق مسلم صدر الإسلام، يجتهد لتحقيق ذلك ما استطاع إليه سبيلاً، خصوصاً وأن الأخلاق في الصدر الأول كانت مسددة لا تحوي تضارباً ولا مخالفة للفطر السوية.

❑ ❑ ❑

١- وكذا القسيس جون سبونج، وتنصيب سحاقيات للعمل قسيسات في العديد من الكنائس ككنيسة أبناء الله وكنيسة عائلة الحب.

اقرأ دراسة أبي سلام أحمد عبدالله عن فضائح الكنيسة ص ١٢٦ وما بعدها.

الذريعة الثانية

التركيز على دعوى القمع الجنسي واضطهاد النساء، وزعم التواطؤ بين المؤسسات الدينية والسياسية من أجل استذلالهن

يتفنن بعض الكتاب والمتأدبين وأدعياء الاستنارة في استحداث مصطلحات وألفاظ خارقة حارقه شديدة الانفجار، يلقون بها في وجوه خصومهم، ليضعوهم تحت وطأة نوع من الإرهاب النفسي واللفظي البشع.

كما يتفننون في إثارة السلطات وتأليف الرأي العام، وصناعة جوٍّ مقبض متوتر مغموس في الزيف، مشبع بالعدوان على الحقيقة، في الوقت الذي يتهمون فيه الآخرين ـ بغاية الوقاحة ـ أنهم يتآمرون مع السلطات أو ضدها، بغية الإيقاع بهم أو إقصائهم عن ساحة الحوار.

وإذا كان المثقفون الشيوعيون ـ سابقاً ـ يتهمون الرأسمالية بقمع المرأة، فإن الرأسمالية اتهمت الشيوعيين بالغلو في القمع والامتهان.. **لكن الاثنين يتجمعان في جبهة شيطانية لضرب الإسلام والافتراء عليه، بليّ النصوص وتزييف المفاهيم**، مستخدمين منهجاً انتقائياً، يتخير القمامة من بطون كتب لا تصلح أن تكون مصادر للمعرفة الإسلامية: غير مقدرين لنصٍّ معصوم، ولا شخص قدوة، ولا مبدأ منير:

○ ففي الرأسمالية يلخص **جان بابي** وضع المرأة في المجتمع الرأسمالي والبرجوازي فيقول[1]:

١- خليل أحمد خليل: ١٤٥ وما بعدها.

○ إن الاضطهاد الطبقي متوافق مع اضطهاد الجنس المذكر للجنس المؤنث.

○ إن معظم الأديان أعلنت ـ دون محاجّة ـ دونية المرأة، وحمّلتها وزر خطيئة الجسد، وبنت حولها كمية من الخرافات أضفت الرجس والدنس على الفعل الجنسي، الذي لم يعد مقبولاً إلا ضمن الزواج الشرعي المقدس.

○ إن البغاء لا ينفصل عن الزواج البرجوازي الذي هو تكملته الضرورية.

○ إن مسألة المرأة مسألة سياسية، وإذا كنت تريد إزالة البؤس الجنسي فناضل إذن في سبيل الاشتراكية.

والمعارضة النسوية الراديكالية قامت بحملة للمطالبة بحقوق المرأة عام ١٩٦٧، وجاء في بيانها أن: قهر المرأة ناجم عن مواقف دستورية تعمل على تثبيت المرأة في موقف متخلف، ومن ذلك وضعها القانوني في الزواج والأمومة وفي الاتصال الجنسي[١].

○ وتؤكد **حنان عواد** ـ ومعها عدد من منظري اليسار الساقط ـ **أن هناك اتفاقاً وثيقاً بين رجال الحكم والمؤسسات الدينية (؟!) لدعم الظلم والقهر والتخلف**[٢].

○ ويرى **إنجلز الشيوعي**[٣] أن العائلة هي ثمرة تطور مصالح اقتصادية تتكرس فيها عبودية المرأة وتبعيتها للرجل، وأن الرأسمالية تصدر ثقافة جنسية داعرة مدوخة للعقل والأعصاب، لسلب الشرط الإنساني العقلي، وتخريب النفوس، لتهيئة الأجواء الضرورية لضمان مصالحها الاستغلالية والعدوانية.

١ـ Gendre & History: 27

٢ـ أثر التكنولوجيا على المرأة العربية ـ ورقات مقدمة لمركز البحوث العلمية والتطبيقية بقطر.. ولا تخفى المغالطة الشديدة في هذا الزعم، فإن هناك تباعداً شديداً بين المؤسسات الدينية والحكومات منذ عدة عقود، وقد تحول هذا التباعد أحياناً إلى تصارع وتبادل التيارات اليسارية والبعثية والعربية الشعوبية، والعلمانية التغريبية.

٣ـ عزيز جاسم: ٧٣ يوماً وما بعدها.

وكذلك الأفكار الجنسية الصادرة عن منطلقات اشتراكية تدعو إلى الثورة الجنسية.

إن الثقافة النابعة من تلك الأفكار تنساق وراء فرضيات انتهاء الزواج وإلغاء العائلة وهي تحل الجنس محل العقل[1].

والحقيقة أن كلتا الثقافتين تحلّ الجسم محل العقل، مع مفارقات لفظية يسيرة.

ففي الشيوعية حرصوا ـ كما مر ـ على إلغاء مؤسسة الزواج، وتدمير الأسرة، وقالوا برجعية المفهوم التقليدي للعفة، ونادوا بالعلاقات الجسدية التي لا حدود لها، تحقيقاً لنظرية كأس الماء التي دعوا لها.

وماذا في الفكر الرأسمالي غير هذا ؟!

اسألوا مقررات مؤتمر السكان بالقاهرة، ومؤتمر المرأة في بكين اللذين تبنتهما أمريكا من خلال قفاز الأمم المتحدة.

إن الجنس كله فيهما مقبول اجتماعياً ـ حتى نكاح المحارم والدواب ـ وإن الدساتير لتكاد تبيح كل شيء صراحة، وإنهم يقولون كما يقول الآخرون بتغير القيم، والثورة على قيود الكنيسة ورفع وصايتها.

الواقع أنه لا فرق ـ ولو يسيراً ـ فيما يذهب إليه الفريقان

ولا يخفى على ذي عينين أن معظم المثقفين العرب كانوا يولّون وجوههم شطر الفكر الشيوعي ـ ولا يزال بعضهم ملكياً أكثر من الملك رغم هلاك هذا الفكر إلى غير رجعة ـ لكنّ كثيراً منهم تحول إلى السوق الرائجة الأخرى جهة الغرب ـ رغم تاريخه الشيوعي الطويل ـ فانتقل إلى مدح المفهوم الغربي، والأنموذج الأوربي المتحلل للمرأة بعد أن كسدت الرؤية

١- السابق: ٨٥.

الشيوعية ولم تعد تطعم الكافيار ولا حتى الطعمية، بل صارت ـ في عقر دارها ـ تتسول الخبز والماء والهواء.

لذلك فإنك لتجد في كلامهم الروح الجريئة على الله عز وجل، وعلى الدين، وعلى فكرة ـ بل فريضة ـ الشرف، حتى كادوا يصيّرونها وصمة عار على كل من يتمسك بها، ويدعو لها، ذكراً كان أو أنثى!!.

○ فهذه فاطمة المرنيسي في كتابها: ما بعد الحجاب تقول[1]:

هناك تعارض أساسي بين الإسلام ـ كما يفسر في السياسة الرسمية ـ وبين المساواة بين الجنسين، فالتكافؤ الجنسي ينتهك منطق الإسلام الذي يرى بأن عشق الجنس الآخر ينطوي على خطر على شريعة الله تعالى، *وينتهك إنهاءُ العزل الجنسي الفكرَ الإسلامي بشأن مركز المرأة في النظام الاجتماعي، إذ ينبغي أن تخضع لسلطة الأب والأخ والزوج، وحيث يرى الله ـ عز جل ـ أن المرأة عنصر هدام (!!)[2] فيقتضي الأمر عزلها مكانياً، وإبعادها عن كل الأمور باستثناء تلك الخاصة بالأسرة.*

○ **ويقول عبدالهادي عباس**[3]:

ليس للمرأة سلطة على جسدها، كل قوانين المنع والتحريم تهدف لاحتواء

١ـ الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي ـ ص ١٣ وما بعدها.

٢ـ أكذوبة خسيسة على دين يرى أن المرأة نصف الدين ـ لا المجتمع فقط ـ ويراها خير متاع الدنيا، ويرى إكرامها من حسن الخلق وكرم النفس.

٣ـ المرأة والأسرة: ١٢٩٨.

هذا الجسد، ووضع مفاتيحه في يد الرجل الذي يمتلكه (!!) وله حرية التصرف فيه، دون أن يكون لها، فهو الذي يزوجها، وهو صاحب المتعة بالزواج، وهو الذي يسلبها ـ مادياً ـ عضو المتعة في جسدها فيقطعه بالختان.

ويرى[1] أن رجال الدين والمحافظين التقليديين تتحكم بهم المأثورات والتفسيرات القديمة الجامدة، ويعالجون المسائل حسب رأيهم في المفاهيم الغيبية والسوابق المقدسة المتمثلة بسلسلة تاريخية من الحلال والحرام طويلة. وهذا الاتجاه هو الأكثر رواجاً وسطوة في المجتمعات المتخلفة، وينطلقون من مسلّمات نظرية مبنية على أسس لا تخضع للتغيير، لافي الزمان ولافي المكان.

والمثل الأعلى للمرأة عندهم: امرأة الأمس التي تروى عنها الأخبار منذ ما يزيد على الألف عام.. المرأة التي ينطبق عليها النموذج المطلوب المحنط، بتفسيرهم وفهمهم الذاتي للآيات والأحاديث والمأثورات والحكايات المروية، **وأنها تخضع لدونية تحكم عليها ـ من خلال المذاهب الأربعة ـ أن جسدها عورة إلا وجهها وكفيها**[2].

○ ويقول **خليل أحمد خليل**[3]:

لا تزال القوى السياسية التابعة للاستعمار، والوارثة للسلطة من خلال التقليد والسلفية (؟!) تعمل على كبح عجلة التطور العربي، بدءاً من قمع المرأة ـ كامرأة ومواطنة ـ ووصولاً إلى قمع أوسع للجماهير العربية.

والرجال ينشدون من خلال الكبت والقمع إلى هذه اللعبة القذرة، التي تغري الذكر بتحطيم أنثاه، لمصلحة السلطات والطبقة المسيطرة من الداخل.

١- السابق: ١٣١٤-١٣٢٦.

٢- لست هنا في معرض الرد على كم المغالطات الهائل الذي تحتويه الفقرة السابقة، وإلا فإنها وأشباهها لا تثبت أمام أدنى مناقشة علمية.

٣- خليل أحمد خليل: ص ١٠٣-١٠٤.

○ ولما أصدر القضاء المصري قراره بحل جمعية تضامن المرأة التي كانت ترأسها المتطرفة **نوال السعداوي** شنت هجوماً شرساً على القضاء، ووصفت القضاة بأنهم يعملون لصالح الحكومة ضد المرأة[١].

وهم يتحدثون عن أشكال الاضطهاد المزعومة التي تقع على المرأة في العالم الإسلامي بخاصة من خلال محاور يلحون على التركيز عليها.. وهي:

الختان، وضرب النساء، والهيمنة الاقتصادية.. فماذا يقولون؟

أ ـ الختان:

فأما الختان فهو جريمة الجرائم، وأبو الخبائث، والشيطان الأكبر في نظرهم، وهم يبالغون مبالغات شديدة، ويتبعون ـ في تناوله وطرحه كإشكالية ـ منهجاً غير علمي على الإطلاق، بل يعتمدون الأكاذيب في حديثهم عنه:

فإذا كانت بلاد المسلمين بضعاً وخمسين دولة على مستوى العالم، فإنه **لا يُعرف** ـ تقريباً ـ **إلا في مصر والسودان والصومال**[٢] أي إن العالم الإسلامي الذي يبلغ تعداده ملياراً وربع المليار لا يَعرف هذه الممارسة إلا في نحو ٨٪ من سكان فقط، وفي ثلاث دول فقط.

ومع ذلك فإنهم يصورونه على أنه بلوى عامة، لم تسلم منها المرأة، وأن من الحتم استئصال كل مكامن الأنوثة والشهوة في المرأة المسلمة في العالم الإسلامي كله **هذه واحدة**.

والثانية: أن هذه العادة باتت لا تمارس على نطاق واسع في مصر التي تشكل أكثر من ثلثي الـ ٨٪. وأتمنى أن يجرىٰ استطلاع صحيح بين الشباب ـ وهم الكثرة الكاثرة في بلد كمصر ـ إذ لو استطلعنا الآباء الذين هم في سن الأربعين.. فكم ستكون نسبة المختونات من بناتهم؟!.

١ـ المواجهة: ٤٩.

٢ـ The Republic of Cousins: 82

ثالثاً: كثيراً ما تمارس هذه العادة تعوداً لا تديناً، فاتخاذها ذريعة لضرب الدين غش منهجي، وعبث غير مقبول.

ولم يستحدثه، بل كان معروفاً عند الفراعنة قبل ميلاد الرسول ﷺ بألفي سنة، ولا تزال عملية التطرف في الختان التي تمارس في السودان تعرف عالمياً بالختان الفرعوني، وهي غير مقبولة في المفهوم الإسلامي، ***ولا يوجد عالم من العلماء الكبار - فيما أعلم - يؤيد الطريقة السودانية*** *لأن النص الوارد في ذلك* **«أشمّي ولا تنهكي»**[1] *يفيدعدم الغلو، لولا أن عادات الناس تتدخل، ولولا أن الهوى وعدم المنهجية يحمّلان الإسلام هذه العادات المرذولة والمردودة بالإسلام ذاته.*

خامساً: الحملة الأخيرة التي مورست ضد الختان[2] لا يقصد بها الختان ذاته، ولكن يراد بها التهجم على الإسلام، ومحاولة التشويش عليه والانتقاص منه.

١- النصوص التي وردت فيها ضعف لكنها بمجموعها ترتقي لدرجة الحسن، فحديث: «الختان سنة في الرجال مكرمة في النساء» فيه اضطراب، وقال البيهقي عنه: ضعيف منقطع، وحديث «أشمي ولا تنهكي» ورد موقوفاً لا مرفوعاً. وهو في أقصى أحواله مكرمة، ويكون بالإشمام لا بالإنهاك، أي بحيث لا يوثر على حساسية المرأة ورغبتها، ولاحظ الظل اللغوي لكلمة الخفض - وهي للنساء تقابل الختان للرجال - التي تفيد التقليل لا الاستئصال. انظر الفقه الإسلامي وأدلته ١/٣٠٦. واقرأ تخريج أحاديث الختان في تمام المنة للألباني ص: ٦٧، وقد جزم الشيخ بصحة قول النبي ﷺ لبعض الخاتنات: إخفضي ولا تنهكي؛ فإنه أنضر للوجه، وأحظى للزوج - أبو داود والبزار والطبراني - وذكر أن ختان النساء كان معروفاً عند السلف؛ خلافاً لبعضهم، ويؤكد ذلك الحديث المشهور: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل - الإرواء: ٨٠.

٢- في بتمبر ١٩٩٤ أثناء وبعد انعقاد مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة.

وما قيام حطة .C.N.N ببث مسرحية ختان الطفلة على الهواء، والتشويه المتعمد في كبريات المجلات العالمية، ومحاولة جرّ رجل شيخ الأزهر للقضاء بسبب فتواه في الختان، وما الكتابات الكثيرة حول قضية الختان باعتبارها قاصمة الظهر[١] إلا محاولة عالمية للتقبيح، ويكفي أن تعرض محطة عالميه مثل .C.N.N عملية الختان وتكرّر عرضها بعد أن تهيئ أذهان الناس إلى أنهم سيرون شيئاً مفجعاً.. يكفي ـ جداً ـ ليسمع العالم كله ويرى أفعال «الإسلام القبيح» الذي يذل المرأة ويقمعها، ويقضي ـ مع سبق الإصرار والترصد ـ على آدميتها وأنوثتها ومستقبلها الزوجي.

والقارئ لمقررات مؤتمري القاهرة وبكين يجد إلحاحاً على الفكرة وإثارة لها، لا بقصد مناقشة عاقلة هادئة لنرى أين الفكرة، وما محلها من الإسلام.

*وعلى كل حال فإن **جمهور الفقهاء يذهب إلى أنه مكرمة للنساء لا واجب**، ولا يقول بوجوبه للذكر والأنثى إلا الشافعية[٢].. والمكرمة في الاصطلاح الشرعي هي من باب المندوب الذي لا يأثم تاركه، ولا مؤاخذة عليه شرعاً..*
فهل كان القوم يريدون معرفة حكم الإسلام، أم إن قصدهم التشويش والإساءة؟؟.

وهل توجد للأزهر أو حتى للدولة سلطة مباشرة لإجبار الناس على

١ـ اقرأ مثلا: أ ـ Aqainst the Mutilation of women
ب ـ تقرير Female circumcision الذي أصدرته لجنة حقوق الأقليات.
٢ـ الفقه الإسلامي وأدلته ١/٣٠٦.

الختان ومعاقبة من لم يختتن أو يختن بناته؟! أتحدى أن تثبت حالة واحدة في تاريخ الأزهر كله، عوقبت فيها امرأة ـ أو وليها ـ لأنها لم تختتن!

ب- ضرب النساء:

إذا كان الإسلام ينفي الخيرية عمّن يضرب النساء، ويوصي بهن خيراً[١]، فإن غير المسلمين هم الذين يرتكسون في هذه الحمأة، ثم يرمون الآخرين بأدوائهم، على طريقة التي رمت بدائها وانسلّت.

وتعالوا نسأل الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية.

* ضرب الزوجات في اليابان هو السبب الثاني من أسباب طلب الطلاق.

* ٧٧٢ امرأة قتلهن أزواجهن في مدينة ساو باولو البرازيلية ـ وحدها ـ عام ١٩٨٠[٢].

* يتعرض ما بين ثلاثة وأربعة ملايين من الأمريكيات للإهانات

١- في مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ (ما ضرب بيده خادماً ولا امرأة)، وفي الحديث المتفق عليه إنكار الضرب الزائد «يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يعانقها آخر النهار؟» ولما شكا بعض النسوة من ضرب الأزواج قال النبي ﷺ: «لقد طاف بآل محمد سبعون امرأة، كلهم يشتكين أزواجهن، ولا تجدون أولئك خياركم» يقصد: الرجال الضرابين للنساء، صححه ابن حبان والحاكم والحق أن الشرع جعل الضرب آخر الدواء، بعد الوعظ والهجر في المضجع، وقد منع الإسلام الرجل من ضرب زوجته في ثلاث حالات تعد قيوداً حازمة لا يستطيع التفلت منها وهي:

١- الضرب بداية، أي قبل الوعظ والهجر.

٢- الضرب الموذي المبرح، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالسواك ونحوه. أما الضرب بالسوط والعصا وما شابه فهو لا يليق حتى بالحيوان.

٣- الضرب المنتقم المتعالي، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

هذا وقد سبقت الإشارة إلى من لا يضرب خير ممن يضرب، وأنه ﷺ لم يضرب بيده امرأة ولا خادماً قط. بل إن من اللطيف أن الإمام مالكاً رحمه الله يقرر أيضاً أن الرجل الناشز يُضرب أيضاً، فلو رفعت المرأة أمرها إلى القاضي بشأن زوجها الناشز فإنه يعظه، فإن اتعظ انتهى الأمر، فإن لم يُجْد الوعظ أمر لها بالنفقة، ومنعها من الطاعة، وأجاز لها أن تهجره، وألا تذهب إليه إلى بيته، فإن لم يُجْد عزره القاضي بالضرب(!). انظر: من أجل تحرير حقيقي للمرأة ـ ص: ٩ وما بعدها.

٢- Women in the world: 102

المختلفة من أزواجهن وعشاقهن سنوياً.

* أشارت دراسة اجتماعية كندية إلى أن ربع النساء هناك - أي أكثر من ثمانية ملايين امرأة - يتعرضن لسوء المعاملة كل عام.

* في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنوياً من نساء يضربهن أزواجهن على مدار السنين الخمس عشرة الماضية.

* تتعرض ٣٠٠ امرأة في أمريكا للاغتصاب يومياً، وتتعرض امرأة لسوء المعاملة كل ثمان ثوانٍ.

ثلث النساء في أمريكا والنرويج وهولندا ونيوزيلنده تعرضن لتشويهات جنسية نتيجة لاعتداءات أو تجاوزات جنسية، ويتراوح عددهن ما بين ٨٥، ١٤٤ مليوناً بزيادة قدرها مليونات على الأقل سنوياً.

وأزيد على هذا من عناوين الصحف:

* زوج أمضى ساعتين يرفس زوجته، ويثقب جسدها بآلة حادة.

* ابنة ترفع دعوى على أبيها الذي اغتصبها عشر سنين.

* سجلت حالات الاغتصاب مائة ألف حالة سنة ٩٠، وارتفعت حالات اغتصاب الأطفال ٤٠٪.

* ٣٩ ولاية أمريكية حطمت رقمها القياسي في حالات الاغتصاب، وبات المعدل الوطني ١٢ حالة في الساعة، أو حالة كل خمس دقائق.

* قرابة نصف المنتهكات في بريطانيا يتم الاعتداء عليهن - أولاً - داخل البيت من الأب أو من صديق الأم، حتى إن إحدى كبريات المجلة نشرت في مكان بارز أن أخطر مكان يعيش فيه الإنسان الأوربي هو المنزل(!!)[1].

١- تجفيف منابع الأنوثة، ص ٩٧ وما بعدها: والشعب في ٨/٩/٩٥ ومجلة Time في ٤/٧/٩٤، التي ذكرت أن نصف الشاكيات يغتصبن في البيوت الأمريكية، وثلثهن في بريطانيا كذلك.

* ٧٩٪ من الأمريكيين يضربون زوجاتهم، و٨٣٪ دخلن المستشفى سابقاً مرة واحدة على الأقل للعلاج من أثر الضرب.

* مائة ألف ألمانية يضربهن الرجال سنوياً، ومليونا فرنسية.

* ٦٠٪ من الدعوات الهاتفية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس أثناء الليل هي نداءات استغاثة من نساء تُساء معاملتهن[١].

فهل ضرب المرأة وإذلالها منهج إسلامي مرتضىً؟ أم إن الإسلام ركز على إحسان العشرة والرفق بالنساء، حتى كانت الوصية بهن من آخر ما وصى النبيُّ ﷺ به؟

لنقرأ هذه النصوص:

- «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم**» رواه الترمذي وابن حبان بسند صحيح.

- «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» ابن حبان وابن ماجه والحاكم بسند صحيح.

- «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إنْ كره منها خلقاً رضي منها آخر**» مسلم.

- «**من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**» الترمذي والحاكم وابن ماجه وابن حبان والنسائي، واللفظ للترمذي.

- «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك: أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**» مسلم.

- قالت: **أم حبيبة رضي الله عنها**: يا رسول الله: المرأة يكون لها زوجان ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون: للأول أم

١- واقرأ تفصيلات أكثر في: من أجل تحرير حقيقي للمرأة: ص ٩ وما بعدها.

للأخر؟ قال ﷺ: «**تخيّر، أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجها في الجنة، يا أم حبية: ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة**» الطبراني في الكبير والأوسط، والبزار[1].

هذا ديننا، وهذه أوامر نبينا ﷺ، فما **لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟!**

ج- الهيمنة الاقتصادية:

ومن ذرائع القوم في دعاواهم بالتحرير المطلق، وفك أسر المرأة من القمع والامتهان السلفيَيْن: أن الرجل يتحكم في عرض المرأة وحريتها، لأنه ينفق عليها، فلو كانت حرة اقتصادياً لجاز لها أن تملك عرضها، تتصرف فيه كيف تشاء، وتقضي أوقاتها مع من تشاء، وهذا أحد مقاصدهم النهائية:

> *فها هي **الكسندرا كولونتاي** تعتبر أن الإشباع الاقتصادي يوفر للمرأة تحرراً متعاظماً باطراد، وترى أن **البغيّ لا تدان أخلاقياً، إذ لا فارق بينها وبين الزوجة زواجاً شرعياً**، فهذه تعيش على نفقة زوجها الشرعي، وتلك تبيع جسدها لعدة رجال، **وكلتاهما تؤدي عملاً لا يعود بالنفع على المجتمع(؟!)***[2].

ويعلل إنجلز دعوتهم لإلغاء الزواج والنظام العائلي بأن العائلة هي ثمرة تطور مصالح اقتصادية تتكرس فيها عبودية المرأة وتبعيتها للرجل. والبديل

١- الترغيب والترهيب ٣/ ٤٨ وما بعدها.

٢- المرأة والأسرة: ١١٦٩ وانظر إلى التسوية بين البغي وبين الزوجة الشرعية، والدعوة الضمنية بأن تكون كل النساء بغايا «على قفا من يشيل».

عن ذلك ـ فيما يزعم ـ هو أن تحل المشاعية الجنسية محل العقل(؟!)[١].

والحقيقة أن هناك مغالطات كثيرة في مثل هذه القفزات غير المهجية.

ولست في موقف الدفاع عن الإسلام، وإقراره الذمة المالية الكاملة للمرأة، وتمام حريتها في التصرف والتعاقد، ولكن أقول ـ من خلال الواقع ـ إن المرأة العربية تعمل في كل مكان، ويمكن أن ينظر أي باحث في إحصاءات القوى العاملة في بلد مثل مصر أو سوريا أو غيرهما ـ فضلاً عن الدول غير الإسلامية ـ ليخرج بحقائق تنافي تماماً هذا الزعم.

وأزيد على هذا:

* إن أكثر من ٦٥٪ من النساء يعملن في كل من النرويج والسويد وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا سابقاً وبولندا ورومانيا وبلغاريا وتنزانيا وموزمبيق وبوركينا فاسو والسنغال وتايلاند ولاوس وبابوا غينيا.

* وفي كندا وأمريكا واستراليا وروسيا والصين واليابان وبورما وكوريا وفنلندا وفرنسا والنمسا وألمانيا (غ سابقاً) وإثيوبيا وزائير وجنوب أفريقيا ونيجيريا والكاميرون والجابون وتوجو وغانا وغينيا وأوجاندا.. يعمل ما بين ٥٦٪ و٦٥٪ من مجموع النساء.

* وفي نيوزيلاند والبرازيل والأرجنتين وبيرو والأوروجواي وكولومبيا وفنزويلا وأمريكا الوسطى ومنغوليا وبنجلاديش وباكستان وأفغانستان وإيران والسودان والنيجر ومالي والمغرب يصل العدد إلى ٤٥٪ من مجموع النساء.

* وفي السعودية والنمسا تشغل المرأة ما يساوي ٢٠٪ من مناصب أساتذة الجامعات و١٠٠٪ من مناصب المدارس الابتدائية[٢].

وفي مصر تعمل المرأة على قدم المساواة مع الرجل ـ في كل

١- عزيز جاسم: ٦٤ وما بعدها.

٢- Women in the world: 7

المجالات، وبالمرتبات نفسها ـ وتشكل ٤٨٪ من مجموع القوى العاملة في مصر، وهي نسبة عالية جداً بالمقاييس الدولية، إذ إن العمالة البريطانية النسائية لا تزيد عن ٣٥٪ فقط[١] .. **فما النتيجة؟!.**

- **هل عملن في بناء الأمة؟**
- **هل عملن في سبيل الرفعة الصادقة للمرأة فعلاً؟**

إن أكثر العمل النسائي يدور في الحقل الفني والاستهلاكي والاجتماعي المظهري.. أما العمل البنّاء الصحي الذي يخدم المرأة والمجتمع خدمة فعلية فهو أسطورة؛ ففي دراسة **إيرل سوليفان**[٢] التي أجريت على نساء النخبة في مصر ـ حيث تعلو نبرة التحرير الاقتصادي والشخصي للمرأة ـ وجد أنهن **يعملن في العلاقات العامة والإعلام والتسويق والمطاعم واستيراد وبيع السلع الاستهلاكية والسياحة ومؤسسات التجميل ووكالات السيارات واستيراد السلع الرأسمالية..**

فهل هذا هو بناء الأمم؟!

وهل هذا هو التحرير الصحيح؟!

أن تعمل نادلة في مطعم أو مضيفة أو مرشدة سياحة أو مندوبة تسويق؟!

ثم إن النقطة الأهم من ذلك كله: **هل الإسلام يعطي الرجل أو المجتمع الحق المطلق في الهيمنة الاقتصادية على المرأة كما يزعمون؟**

أليس هناك فرص لها لتمتلك، وتهب، وترث، وتتاجر، وتكون أغنى من زوجها وعشيرتها كلها؟

وهل للزوج ـ في الإسلام ـ الحق في تقييدها مالياً وابتلاع ثروتها؟

أتمنى أن يرجع هؤلاء ـ بعقل حيادي متجرد ـ إلى كتب الفقه المعتبرة، وأن يقرأوا بعقل نزيه، وعين مستبصرة.

١ـ Arab women: 6

٢ـ Women in Egyptian Public Life: 140

الذريعة الثالثة
السيطرة على الشعوب بالاستباحة الجنسية
وتفكيك قوى الشباب

بدهي أنه لن يتم التصريح المباشر بهذا المقصد ـ وبالذات في العالم الإسلامي ـ لكن لا يختلف اثنان ـ على ما أظن ـ في أن هناك محاولات متجددة ومطّردة من القوى العظمى لتعبيد دول الجنوب والسيطرة على مقدّراتها بأية وسيلة ـ أية وسيلة ـ بتدبير الانقلابات وإشعار الحروب، ونشر المخدرات، وتوسيع نطاق الرذيلة، والحروب الفكرية والدعائية والاقتصادية، وغير ذلك من الوسائل التي تضمن بقاء دول العالم الثالث ـ سابقاً ـ أو دول الجنوب ـ حالياً ـ تعيش استقلالاً صورياً، وحرية وهمية، واستنارة سرابية، لا ترتكز بركائز من الواقع أو المعقولية.

ومن أعظم وسائل السيطرة: استخدام أسلوب نشر الرذيلة والإباحية بألف وسيلة ووسيلة:

○ **فهناك قنوات فضائية تلفزيونية كاملة خاصة بالدعارة** Pornography ضجت منها دول أوربا نفسها.

○ وهناك **الأفلام الجنسية التي تبث في القنوات العادية**، أو عبر أشرطة الفيديو، أو في أجهزة الكمبيوتر(؟!).

○ وهناك **المجلات الزرقاء**، المتخصصة في الدعارة.

○ وهناك **الشبكات المختصة في التجارة بالنساء والأطفال**.

○ وهناك **تيسير الجنس وإشاعة الفاحشة** بتيسير الوسائل من موانع حمل وعوازل طبية تباع في الشوارع بسعر التراب.

○ وهناك **الحملات الرسمية التي يتبناها رؤساء دول** ومديرو مؤسسات للترويج للشذوذ أو للحرية الجنسية أو لغير ذلك.

وقد تحدثنا فيما مضى عن الاستباحة الجنسية، ويأتي فيما بعد شيء من الإحصاء المفيد في هذا الموضوع.

لكن أشير هنا ـ بخاصة ـ إلى **حملة قادتها تاتشر وجون ميجور والرئيس ريجان** ونشرت بالجارديان وغيرها من الصحف البريطانية لترشيد الجنس باستخدام العازل الطبي.

وإلى **استخدام الرئيس كلينتون لورقة الشواذ** في الانتخابات الرئاسية ثم طوال فترة رئاسته.

وإلى **تصريح هيلاري كلينتون** في النيوزويك عن الفاعلية الجنسية للشباب.

وإلى **الغضبة التي انتابت بعض دول أوربا** نتيجة فظاعة ما يقدم في قنوات البورنو، وإلى **مظاهرات الشواذ** التي تقوم في أمريكا وأوربا بين الحين والحين، وإلى **المؤتمرات الرسمية العالمية** التي تتبنىٰ قضايا الإباحية والشذوذ، وتحاول إشاعتها في العالم كله، كمؤتمر القاهرة ومؤتمر بكين وما يأتي بعدهما.

وأشير إلى أن **التلفزيون الصهيوني يعرض** ـ عمداً ـ **أفلاماً جنسية فاضحة** (وأنهم فتحوا بيوتاً للدعارة مجانية في الضفة الغربية، وملأوا الأسواق بالمجلات الجنسية الفاضحة من أجل إضاعة الشباب «شباب فلسطين»، لأن الذي يدخل بيوت العاهرات لن يفكر أبداً في دين أو وطن)[1] وبعد سقوط الاتحاد السوفييتي نشرت تقارير إسرائيلية عن

---

١ ـ التلفزيون بين المنافع والمضار: د. عوض منصور: ص ٤٠ وما بعدها.

استيراد رقيق أبيض لإسرائيل كجوارٍ للمتعة الشخصية أو للاتجار بأعراضهن في البغاء ـ المباح رسمياً ـ أو تحت ستار العمل في صالونات التدليك أو التمريض أو ما شابه ذلك[1]، لكن إحداهن تصير جارية ـ بكامل معنى الاستعباد ـ يتحكم فيها شاريها كما يشاء، انسجاماً مع العقيدة اليهودية التي تذهب إلى أن الزنا مع غير اليهودية لا إشكال فيه، وأن سائر الأمم غير اليهودية عبيد في الحال أو المآل لهم.

* * *

١ـ انظر: الشرق في ٢٥/٨/٩٥.

الذريعة الرابعة
اعتبار الدين حجر عثرة في طريق تقدم المرأة

.. الأديان كلها بعامة ـ والإسلام بخاصة ـ متحجرة بالية عفنة، تحتاج إلى إزاحة، ليحل العقل محل الشرع، والهوى محل التنزيل، والانحراف والتطرف الخلقي محل استواء الفطرة واستقامة السبيل.

هذه خلاصة آراء دعاة التحليل الذين يوجهون حملاتهم الشرسة والمركزة ضد الله تعالى مباشرة، وضد القرآن ـ كتاباً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ وإلى رموز الإسلام من القدوات السامقة، وإلى شعائر الإسلام ومنائره: من الحجاب والقوامة والعفاف ونظام الأسرة وغير ذلك.

ويستوي في ذلك التيارات التي تدعي الاستنارة كلها: من ليبرالية علمانية، واشتراكية ملحدة، وإباحية متمردة، وفلسفات ترى نفسها أهلاً لمنافسة تنزيل العزيز الحكيم.

لكن بعض الفلسفات أجرأ من بعض، وبعض **المستنيرين أوقح من بعض**: فمنهم من يدعو إلى عزل الدين صراحة لانتهاء عمره الافتراضي[١].

ومنهم من يزعم بلوغ العقل الإنساني سن الرشد، فصار بذلك مستغنياً عن وصاية السماء عليه (على حد تعبيرهم)[٢].

---

١ ـ يقول محمد عركون: عندما يستحيل تكييف النص مع العالم الحالي، عندما يكون منبثقاً علانية عن وضع اجتماعي لا يتناسب في شيء مع عالمنا الحاضر.. ينبغي تغييره.. انظر: العقلانية ١٣٣.

٢ ـ قالها د. محمد أحمد خلف الله.. انظر: الطليعة: نوفمبر ١٩٧٥.

ومنهم من يقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ..﴾ [المؤمنون: ٣٧][1].

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

ومنهم من يفكر ويقدح ذهنه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧][2].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١، ٤٢].

وأستغني بما مرّ من إشارات عن تفصيل قد يُمل أو يجرح.

* * *

١- د. زكي نجيب محمود في قديمه يقول: لا معرفة مما يصح أن يسمى علماً إلا إذا بدأت بتجربة الحواس، انظر: العقلانية ص ٩٧ عن أساطير المعاصرين.

٢- لا يخفىٰ أمر الهجمة العلمانية الشرسة من الصحافة والإعلام على الإسلام ورموزه مواطأةً للهجمة الإعلامية الغربية.

الذريعة الخامسة
دعوى الحرية الشخصية
وحق الفرد أن يفعل ما يشاء دون تدخل أحد

أتعرفون السم في العسل؟ إنه يشبه كثيراً هذا المنطوق المعسول الذي ينادي به القوم، لكنهم ـ في الواقع ـ يخادعون أنفسهم والآخرين.

وهل من حق كل أحد أن يفعل كل ما يشاء؟ أم إن هناك قيوداً ـ ولا بد ـ توضع، وضوابط تشرع؟

فمعلوم أن مخالفة القانون هناك بالتهرب من الضرائب ـ مثلاِ ـ عمل لا يُسكت عنه، وجريمة لا تغتفر، فهل دون التهرب من الضرائب هدم المجتمع كله؟!

لا يوجد نظام على ظهر الأرض ـ مهما ادعى من حرية ـ يزعم هذا أو يقبله، بل لا يوجد نص دستوري في أي موضع من الدنيا ـ فيما أزعم ـ لا يحوي فقرات تنص صراحة على عدم المساس بمجموعة حقوق لا مفرّ من احترامها وعدم تجاوزها، حتى لو أدى ذلك إلى تقييد الحرية ومنع التصرف.

بل إن **الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان** في مادتها التاسعة والعشرين قد أشارت صراحة إلى أن كل فرد يخضع في ممارسة حقوقه وحرياته للقيود التي قررها القانون، لضمان الاعتراف بحقوق غيره وحرياتهم، واحترامها، ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام، والمصلحة العامة، والأخلاق في مجتمع ديمقراطي.

والمتتبع لواقع الحرية في الفكر الغربي يجد أنها مقيدة بقيود منها: ما تفرضه الدولة بحجة عدم الاعتداء على حريات الآخرين، والمحافظة على

الأمن الداخلي.

وقد لاحظنا أن الإسلام قد فرض - في ممارسة الحريات - شرط عدم الخروج على النظام العام للدولة الإسلامية، وحرّم الجهر بالمعصية، وسبّ الأعراض، وهتك العورات، فضلاً عن التطاول على الدين، والاجتراء على حرماته[1].

إن معنى الحرية عند القوم صار شديد المطاطية، فأحدهم حرّ في الاعتداء على الأديان، وهو حر في استباحة المحرمات، وهو حر في أن يسير في الشارع عارياً، وهو حر في أن يتحول إلى كائن شاذ أو ديوث، المهم أن يكون في النهاية مواطناً صالحاً، بمقاييسهم، ونظرتهم اللا أخلاقية، واللا دينية، يدفع الضرائب، ولا يخرق النظام العام المطاط الذي يتغير بشكل دائم، ويرى حسناً ما ليس بالحسن.

﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

* * *

١- انظر كتابنا: وهل بالإسلام حرية للرأي؟ ص: ٧٧ وما بعدها.

ثانياً: وسائلهم لنشر الفاحشة

تكلمنا فيما مضى عن ذرائع القوم ومبرراتهم للاستباحة المطلقة التي يدعون إليها، ونتكلم فيما يلي إن شاء الله تعالى عن وسائلهم المختلفة في نشر الإفك والتوسع في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا والذين كفروا.

* * *

أولاً: توظيف المؤسسات التنصيرية والصحفية والفنية في خدمة التبرج والعري

أ- المؤسسات التنصيرية والصحفية:

ليست الدعوة إلى الإباحية وإلى كسر النطاق حول المرأة وليدة عشر سنين أو عشرين أو خمسين أو مائة سنة، بل إن المحاولات مستميتة منذ دخل نابليون مصر ومعه سفينة تحمل جيشاً «مستنيراً» من المومسات الفرنسيات، يحاول أن يفتح بهن مصر سنة ١٧٩٨م.

وقد تحدث عنهن **الجبرتي** في أكثر من موضع من كتابه «**عجائب الآثار**» وهن يسرن في شوارع القاهرة المحروسة حاسرات متخلعات، يثرن الفتنة، وينشرن الفاحشة، ويغرين بعض النساء بتقليدهن[١]، تماماً كالنماذج التي صارت تعرض للناس على شاشات السينما والتلفزيون والمعلبة على أشرطة الفيديو وأقراص CD. ROM.m

○ ولا يختلف اثنان أن معظم من بكّروا بإنشاء المسارح والمراقص والخمارات - في مصر - هم يهود أو نصارى من الشوام والأرمن.

○ ولا يختلف اثنان أن معظم من بكّروا بالكتابة وأسسوا الصحف كانوا نصارى من أصل سوري، وأبناء أمهات درسن في مدارس البنات التنصيرية التي أنشئت في القرن التاسع عشر، وقليل منهم كانوا يهوداً.

وقد بادر **مرقص فهمي ١٨٩٤** وكتب قصة عن المرأة في الشرق، عاتباً على مسلمي ونصارى مصر حجب النساء والتقليل من شأنهن[٢].

وتقاسمت **البعثات التنصيرية البروتستانية والكاثوليكية** من بريطانيا

١- واقعنا المعاصر: ٢٠٣.

٢- Harem years: 14

وأوروبا وأمريكا منطقة الشرق الأوسط فيما بينها، تمهيداً لاقتسامها فيما بعد سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وكان **الهدف الأول** لهذه البعثات هو تحويل المسلمين واليهود إلى النصرانية، ولكن كان معدل نجاحها ضئيلاً. وتم توزيع البعثات التنصيرية جغرافياً، مع التركيز على المناطق التي حصلت فيها حالات ردة، أو كان لهم فيها متعاطفون.

واهتمت العائلات الثرية بإرسال بناتها إلى هذه المدارس التنصيرية ـ على الأقل حتى سن الحجاب ـ لا ليجعلوا منهن نصرانيات، لكن لاعتقادهم في جدوى وقيمة التعليم في المدارس التنصيرية.

وفي هذه الظروف أدركت عدة منظمات من التي تدير هذه المدارس أهمية إخفاء غرضها التبشيري لهدف أبعد هو زرع المبادئ النصرانية. وبقي كثيرون معتقدين أن التعليم ـ خاصة للبنات ـ سيؤدي الغرض من الباب الخلفي.

وكانت من أشد المتحمسات للتنصير في سوريا ولبنان: **مسز بوين طومسون** التي أقامت مدرسة ومشغلاً للنساء النصرانيات الناجيات من الحرب الدرزية المارونية التي نشبت في لبنان بين عامي ١٨٥٩ / ١٨٦٠م.

وقد كتبت **مسز طومسون** هذه ـ وبشكل سافر علني ـ في كتابها: بنات سوريا[١]:

«لقد شجعتنا كثيراً خيوط الضوء الواهنة التي ستضرب ظلمة الأفق المحمدي، معطية إيانا وعداً صادقاً بأن تشرق أكثر وأكثر نحو اليوم الحق.

وإن اليهود شعب الله القديم بدأوا أيضاً ينتبهون ـ بعد ليل طويل دامس ـ باحثين لأبنائهم عن الاستنارة التوراتية.

١ـ The Deughters of Syria, A Narrative of the efforts of Mrs. Bowen Thompson for the evanglization ot the Syrian females, London, 1972, P. 213

إن الإنجيل الذي يحمله أطفال المسلمين واليهود الآن، والذي ينقلونه إلى داخل الحريم في عمق البيت المسلم، إذ يُرفض تكتيكياً بادئ الأمر، سيقع في قلب الأم، وينمي فيه ثمار التوبة والأمل».

ولقد عمل بهذا الأسلوب نفسه عدد من المؤسسات التنصيرية مثل **كلية استانبول للبنات**، وهي مدرسة أمريكية أنشئت سنة ١٨٧١م[١] ودرّست النساءُ الأجنبيات السيدات المسلمات، وتدسّسن بينهن بعمق بالغ، فقد قضت الأستونية **ليونورا بيتس** أربعين سنة بين المسلمات في مراكش، وقضت الفنلندية **هيلما جرانكفست** ما بين عامي ٢٦ / ١٩٣١م تبحث في القرى الفلسطينية، وكتبت عن نساء فلسطين كتابها: نساء العهد القديم، وأمضت **وينفريد بلاكمان** في الصعيد ست سنين بين قرى الفيوم وأسيوط لتخرج دراستها عن فلاحي مصر العليا، وكذا **جرترود بل** التي اهتمت برصد الجوانب السياسية، **وإيزابيل بيرتون والليدي آن بلنت والإنجليزية فرياً ستارك** التي تنقلت في بلاد المسلمين بين عامي ٢٠ / ١٩٥٠، تصور أحوال الناس. وكتبت صوفيا لين بول عن حريم الطبقات الراقية في مصر، وبعض أولاء اعتنقن الإسلام لضربه مثل Eugine le Brun التي تزوجت من **رشدي باشا**، وفي أخريات سنواتها بدأت تناقش فكرة الحجاب، وافتتحت صالوناً للنساء «منتدى» مستغلة منزلة زوجها الاجتماعية، وكونها أجنبية تحت الحماية لتفعل ما لا تستطيعه المصريات، وأسفرت جهودها عن كتابين عن الأحوال الشخصية والزواج والطلاق في المجتمع المصري.

ومن أوائل من أثرن فكرة دونية المرأة الشرقية **مارجري آشلي** التي كانت صديقة ومحركة لداعيات التحرير في مصر، وهي التي رأست التحالف النسائي الدولي الذي كان ينادي بالمساواة بين أعوام ٢٠ و ١٩٣٠[٢].

١ـ Imageofwomen: 194

٢ـ ص ١٦ وما بعدها: The Image of women

وكانت **آشلي** هذه صديقة شخصية **لهدى شعراوي** التي قلدتها ـ فيما بعد ـ نجمات السينما المعاصرات فحاولت الهرب من الشباك ليلة زواجها الأول، وكانت متعلقة بشاب مات حباً لها، وفاصلت زوجها لما علمت أنه تزوج غيرها، وعاشت في أجواء أرستقراطية مع التركيات والشركسيات ثم الأوربيات من اليهوديات والنصرانيات[1] مما أثر على فكرها كثيراً، وجعلها تقوم مع **صفية زغلول** ـ وأخريات ـ بمسرحية ميدان التحرير التي نزعن فيها الحجاب، ودنّسنه بالقدمين.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشير إلى أن مسرحية نزع الحجاب هذه لا تزال تتكرر بين الحين والحين في قوالب وأشكال مختلفة، وفي أماكن متباعدة، فقد مارستها ـ علناً ـ نسوة من إحدى دول الخليج حين استقبلن ـ وهن منقبات ـ وفداً عربياً، وعند توديع الوفد ودعنهم سافرات (في ستينيات هذا القرن) وفي السينما أفتى **عبدالرحيم بك** كبير الرحيمية قبلي ـ في أداء هزلي بارد ـ أنه لا تستر وجهها إلا امرأة قبيحة، وأن الجميلات يكشفن ويتكشفن، لتقوم مجموعة من الممثلات في الفيلم بنزع الحجاب وسط الزغاريد والهتاف. وفي مدرسة صفية بنت عبدالمطلب ـ رضي الله عنها ـ بإحدى المدارس الخليجية، وضمن الأنشطة التي صورها التلفزيون وعرضها، رقصت الفتيات الناضجات منقّبات ملثمات، واستمر بهن الرقص حتى خلعن العباءات التي كانت ساترة للوجه والجسم، ثم ألقينها تحت الأقدام في آخر الرقصة، ورحن يرقصن بثياب قصيرة، وأذرع مكشوفة، وشعور تنوس يمنة ويسرة.. فهل هذه هي الحرية؟![2].

١ـ Harem Years: 72

٢ـ لا يخفى الدور الكبير لجهاز التلفزيون في السطو على الأعراف والقيم، وتعويد العيون والعقول على ما كان مستنكراً مرفوضاً، فاضحت مشاهد القبلات والعناق والرقص والخمر والاختلاط شيئاً مالوفاً حتى في كثير من البيوت المحافظة، وصارت رؤية اجساد النساء ولحومهن شيئاً عادياً، مع العلم ان هذا التغيير في غضون اقل من ثلاثة عقود، فهل هناك وسيلة للاستعمار او التكفير او التغريب اجدى من هذه الوسيلة؟!

قلنا فيما سبق إن البعثات التنصيرية تقاسمت البلاد العربية وتركيا وإيران، ففي القاهرة وبيروت والقدس وطهران أسس المنصرون مدارس ثانوية وكليات يلتحق بها أبناء علية القوم.

ولقد تبلورت هذه المدارس بعد ذلك فيما صار يسمى **الجامعات الأمريكية**، وأهمها بالقاهرة وبيروت وتركيا.. وهذه الجامعات ـ منذ إنشائها ـ ذات دور خطر وحساس في المتابعة والبحث والرصد والمسح والتجسس؛ من خلال المتغربين من أبناء البلاد أنفسهم، أو من غيرهم من الجاليات المقيمة.

وقد نشر الأستاذ **عبدالحليم قنديل** مقالاً عن الجامعات الأمريكية في المنطقة[1] يؤكد على الدور الذي تقوم به، وعلى التمويل والمساندة الخارجية لها، وعلى نشاط خريجيها في رسم سياسات المنطقة.

وقد أشار إلى أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة بدأت مدرسة ثانوية على يد **تشارلز واطسون أحد أبناء الإرساليات المسيحية الأمريكية**، وأنها تعتمد في نفقاتها ـ بجانب مصاريف الطلاب البالغة الارتفاع ـ على تبرعات الأثرياء والشركات والبنوك، **وحين يحدث خلل في ميزانيتها تتدخل الحكومة الأمريكية مباشرة** كما حصل عامي ١٩٥٩، ١٩٧١م، وأنها تشرف على مركزين للبحوث الاجتماعية وتنمية الصحراء(؟!) وأكد أن دورها لاينفصل عن الدور الأمريكي في المنطقة، وأن خريجيها ـ عموماً ـ شرائح متغربة ومرتبطة بتقاليد الحياة الأمريكية: حفلات أزياء ورقص ومسابقات ملكات جمال، وأسابيع للأقلام والآداب الأمريكية، وفرص عمل في الشركات والسفارات الأمريكية.. وأنها تقوم ـ كما ذكرنا من قبل ـ بأبحاث نشطة عن ظواهر اجتماعية وسياسية ـ كظاهرة الإحياء الإسلامي مثلاً ـ تفيد في رسم السياسات الأمريكية عربياً.

وهذه الجامعة هي التي خرّجت عدداً من القيادات الفكرية والسياسية،

١ـ الراية ٢٠/٨/١٩٩٥م.

كما خرجت الجامعة الأمريكية في بيروت كلاً من **قسطنطين زريق**، **وجورج حبش**، **ووديع حداد**، **وهاني الهندي**، **وأحمد الخطيب**، **ونديم البيطار**، **وليلى شرف**، وعدداً ممن أغرقوا المنطقة العربية المسلمة في لجج الطائفية والعروبية والتطرف اليساري والعنف «الثوري».

على كل حال: لقد زرعت المدارس التنصيرية ـ ولا تزال كما هو واضح ـ القيم الثقافية، والمنجزات المنهجية الغربية في نفوس طلابها، كما صنعت شيئاً كثيراً من سلوك ومنهج المرأة في المجتمع.

ولقد أحدثت هذه المناهج ـ على الأقل ـ نوعاً من الصراع العقلي والقيمي بين ما تعلّموه، وبين ما يعيشونه في عائلاتهم ومجتمعهم:

تحكي الشاعرة والكاتبة اللبنانية المسلمة: **إيتل عدنان** عن فترة تلقّيها العلم في إحدى الإرساليات الفرنسية في بيروت (٢٠-١٩٤٦) فتقول: إن الراهبات الفرنسيات كن سلطويات لحد كبير، وكن يستخدمن كلمة «عربي» في موضع التحقير والسب، وكان بالمدرسة أطفال مسلمون، وكانت الراهبات يجهرن بأنهن منصرات، وهددننا كثيراً حينما كنا نتكلم العربية التي كان الكلام بها يقترن بالعقوبة.

ولقد اعتبرنني نصف أوربية ونصف لبنانية لأن أمي كانت يونانية.

ولأنني لم أكن أرى في أبي ما يزعمنه عن المسلمين، فقد جعلت نفسي بمعزل عن الراهبات، لكن كثيراً من الأطفال عانوا من عقدة نقص رهيبة، بسبب سلوك هؤلاء الراهبات[١].

ب- التخريب الفني:

بداياته وتطوره

إذا كان النشاط الفني المسرحي ـ والسينمائي ـ قد بدأ في غالبه نصرانياً

١- روت هذه الحكاية مارجو بدران ١٩٨٤ سنة.. راجع .Image of women: 198 - 200

يهودياً ـ بجانب الخمارات والمراقص وعلب الليل ـ فإن هناك أسلوباً آخر ربما لم ينتبه له كثيرون، أنشأه ـ أيضاً ـ **نابليون بونابرت** من خلال الفنانين الذين جلبهم مع الحملة الفرنسية لتصوير كل دقيقة وجليلة في مصر، وبشكل يدعو للدهشة الممزوجة بالإعجاب بصبر هؤلاء وجلدهم.

كان فنانو بونابرت هم البداية، لكن المصورين بعد ذلك تسللوا بألوانهم وفرشهم وأوراق وشاسيهات الرسم ـ لأن الكاميرا كانت غيباً آنذاك ـ تسللوا إلى داخل الحريم لتصوير دقائق خصوصيات وأسرار البيوت الإسلامية، وعلى طريقتهم الخاصة، ثم توسعوا بعد ظهور الكاميرات لتعميق نشاطهم وتوسيعه.

وإذا كان المصور الأوربي ـ كما تقول **مارينا وارنر** ـ يتجه في تصوير المرأة أربعة اتجاهات[1].

١– تعرية الجسد وإظهار مفاتنه **ترميزاً للجنس**.

٢– تصويرها رمزاً **للطهر الروحي**!!.

٣– تصويرها **رمزاً للزهد**!!.

٤– تصويرها **رمزاً للبداية واللحم المجرد** (الحالة الإنسانية الدنيا).

إذا كان الأمر كذلك فإنهم صوروا المرأة في العالم الإسلامي ـ منذ القرن الماضي ـ مركزين على الحالة الأولى، حالة تعرية الجسد رمزاً للخطيئة والخطر والموت والفساد، وتفننوا في ذلك بالتركيز على الفتحات الموجودة في الثياب، أو على الأجزاء المكشوفة أحياناً.

بل إن المصورين ـ وغالبيتهم الساحقة من الرجال ـ قد اتخذوا التصوير وسيلة لفرض وجهات نظر معينة من خلال الصورة مدفوعة الثمن، فهيئة اللباس، والانحناءة، وخلفية الصورة كان يمليها المصوِّر على المصوَّر، بغرض تأكيد وجهات نظر تخدم الدراسات الأنثروبولوجية أو الفلكلورية

١- Image of women:: 135

أو التنصيرية أو غير ذلك.

وغالباً ما كانت النساء اللواتي قبلن التصوير في هذه الأوضاع من البغايا أو الراقصات[١].

وقد كتب **مالك علولة** كتاباً - بل ألبوماً مصوراً - عن النساء الجزائريات The Colonial Harem ملأه بالصور العارية الملتقطة للبغايا، وقدمها الرسامون والمصورون الفرنسيون على أنها صورة المرأة المسلمة.

وفي هذه الصور صُوِّرت النساء في أوضاع مغرية، أو وهنّ يشربن «البوظة» أو يدخّن الشيشة أو يغازلن الرجال، أو تقف إحداهن خلف مشربية - في وضع سينمائي مفتعل - أو وهي تمسك بعود أو ناي أو دفّ.

وكل صور الكتاب الألبوم - بلا استثناء - تبدو النساء فيها عاريات تماماً من أعلى الرأس إلى أسفل السرة، كما لاحظت في الكتاب تكرار أوضاع المرأة الواحدة وصورها، الأمر الذي يؤكد البعد الاستعماري، والغرض الخبيث الذي انطوت على أفئدة المصورين الذين لفقوا مادة الكتاب.

وكان مصورو الفوتوغرافيا - بعد ذلك - يلتقطون الصور المزعومة عن الحريم داخل الاستوديوهات، بعد وضع ديكور مناسب يوحي بالعزلة والانتظار والكبت والعبودية.

وكثير من النساء الأوربيات كن يستطعن دخول قصور الأتراك ذات الزينة الباذخة والحريم المتميز، مما جعلهن يعكسن النظرة الغربية للحريم الذي هو قفص مطلي بالذهب، بل إن من أثنت عليه - منهن مثل **لوسي جارنيت** التي قالت إن الحريم الذي يفترض أنه سجن بغيض هو جزء بهيج كثيراً وملائم للحياة في البيت العثماني[٢] - لم يسمع لها، فمثل هذا الإطراء لم يعجب الغربي المغرض الذي كون صورة مرعبة ملفقة عن

١- بتصرف واختصار The Image of women: 65

٢- L. Garnett, Turkish life in town and country. London, 1904 P. 51

الحريم، من خلال المبالغة والتزييف، حتى إنه بات لا يقبل غيرها.

ولقد حدث أن أرسلت المستشرقة جريس إليسون صورة لمجموعة من النساء التركيات في غرفة تشبه المرسم إلى إحدى الجرائد، فردت الصورة وقال المحرر لها:

(إن الجمهور البريطاني بات لا يقبل مثل هذه الصورة عن الحريم التركي) فلم يكن مقبولاً إلا صورة الحريم التي رسموها لأنفسهم[1].

وكان أولئك الأوربيون يتشفون ـ جهدهم ـ من المسلمين والخلافة العثمانية فكل غرضهم بعد إهانة الإسلام كان العبث بالمرأة، وتحويلها إلى جسد رخيص ـ خصوصاً المسلمة ـ فبعد أن أسقطوا السلطان عبدالحميد رحمه الله، نقلوا عدداً من نساء الحرملك السلطاني من الشركسيات إلى فيينا ليرقصن جبراً.

وقال المصور الذي قام بتوثيق الحدث: إن رقصهن في فيينا هو لحظة تاريخية في حياة المرأة التركية ـ وكانت هي الصورة النموذجية للمسلمة هي ورجلها ـ وقد أظهروا أولئك الحريم السلطاني بلا حجاب، وداروا بهن ـ كحيوانات السيرك ـ في دول أوربا.

ويبدو أن أولئك النسوة عانين من ضغوط شديدة، لأنهن أبين بإصرار ـ خارج العرض الراقص ـ الانصياع للناس، وحافظن على رصيدهن من الالتزام بالدين والتعاليم القرآنية، حتى إن المصور عانى صعوبة شديدة في أن يلتقط لهن صوراً في ثيابهن السابغة الشرعية دون أن يحتجبن[2].

وكان من تمام تحقيق المآرب الدنيئة أن يفتتح أولئكم عدداً من

١ـ The Oriental Obssession Jnon Iweatman. وانظر أيضاً Image of women: 74 ولاحظ أن كلمة الحريم كانت تطلق على مكان إقامة النساء داخل البيوت الكبيرة، وهي كلمة ذات ظلال شريفة، لولا أنها صارت مضغة في أفواه قوم يستبيحون كل حرمة، ويريدون المرأة سلعة مستباحة، وكان من أكثر من شهر بهذه اللفظة العظيمة في أشعاره نزار قباني ومن لف لفه.

٢ـ Image of women: 84

الملاهي الليلة والخمارات ـ مستفيدين من الدرس النابوليوني ـ فشرعوا في ذلك في القاهرة والجزائر وبيروت .

وكانت المغنيات والراقصات في هذه المحال يحترفن ممارسة الرذيلة والباغاء سواء مع الخواجات أو أبناء البلد .

وتصف المطربة **أم كلثوم**[١] حال هذه الملاهي في سنوات ما بعد الحرب، وما كانت تقوم به أولئك النسوة فتقول :

لقد اهتم الناس لما حصل من تأثير سيئ على الشبان، وتكونت لجنة سميت : **لجنة الشرف** Comittee of Honour لنشر الفضيلة، ومحاربة الفساد والرذيلة .

ولقد واجهت هذه اللجنة أوقاتاً عصيبة في التعامل مع الكباريهات وغيرها من أماكن المتعة الحرام على طول شوارع عماد الدين وميدان الأوبرا والفجّالة، حيث انتشر الشرب والرقص والترفيه بكل صوره، وحيث انتشرت على جانبي شارع محمد علي لافتات تعلن عن الأسطى حميدة العوّادة والأسطى زوبة الغازية[٢] . والأرتست نعيمة المصرية، وكانت كلمة أرتست Artist تعني المرأة التي ليست فوق مستوى الشبهات أخلاقياً .

ولأن الصحافة ـ كما ذكرنا ـ نشأت تنصيرية ويهودية، فقد خرجت المجلات مبكراً ـ ١٩٢٠ ـ تقلد تلك التي ظهرت في أوربا، مشخصة صورة المرأة اللعوب، مبرزة النساء شبه متعريات أو في عناق عاطفي .

ولم تكن هذه الصور مقبولة مطلقاً في المجتمع المصري آنذاك، وكانت من أجرأ من نشر هذه الصور الممثلة روز اليوسف في مجلتها المعروفة[٣] .

١ـ السابق : ١٨٠ .

٢ـ كان السلاطين الترك الفاتحون يطلقون على انفسهم لقب الغازي، ومنهم الغازي محمد الفاتح رحمه الله، فهل نقل هذا اللقب الحقير لتوصف به الراقصات والبغايا إلا للتحقير والتهجم على كل الرموز والالفاظ المحترمة؟!

٣ـ المرجع السابق : ١٨٥ واقرأ كتابنا : تجفيف منابع الأنوثة، فقرة : اسكر.. واسهر.

ثانيا: دعم حركات التحرير
وتحديد النسل وتمويلها من الخارج

.. لم يعد خافياً على أحد أن وراء المؤتمرات النسائية في العالم الإسلامي أيادي خارجية، تموّل وتقوّي، وتؤثر وتؤازر منذ اندّست الأوربيات في دول الشرق الأوسط، ودخلن البيوت، وحركن النسوة، وحتى مؤتمري القاهرة وبكين اللذين رُصدت لتطبيق مقرراتهما مليارات ومليارات، في حين يموت الأطفال في العالم الثالث من العمى والجوع والإيدز والجهل.

ولم يعد خافياً على أحد أن إحدى الجمعيات النسائية القاهرية الشهيرة أغلقت بعد تماديها، وظهور الأيدي الخفية وراءها، وافتضاح أمرها[١].

وفي مبحث **المرأة في الحياة المصرية العامة** يقر المؤلف في المقدمة أنه أتم بحثه من خلال عمله أستاذاً بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بين عامي ٨١-٨٣، وعاونه عدد ضخم من الطالبات المصريات بتمويل من مؤسسة فورد الأمريكية[٢].

بل إن كثيراً من التيارات الفكرية الوافدة ـ في الدراسات عن المرأة وعلوم الاجتماع والثقافة والأدب والفن وغيرها ـ والتي لا تزال تفد، إنما تستمد زخمها وقوتها من الخارج وبشكل فيه كثير من الصراحة والتعالن[٣].

١- جمعية تضامن المرأة العربية التي أنشئت عام ١٩٨٢ قضائياً لدأبها على مهاجمة الإسلام بشكل مباشر ومستفز، وكانت تمول من الخارج باعتراف المتطرفة نوال السعداوي رئيسة الجمعية لما أغضبها الحكم القضائي، فشرعت تسرد الهيئات التي تساندها خاصة في أوروبا وأمريكا: المواجهة: ٤٣ . ٤٩ .

٢- المقدمة .Women in Egyptian Public life

٣- لمزيد من التوسع اقرأ مثلاً: الحوار أو خراب الديار للأستاذ محمد جلال كشك ص: ٥، ٦٧، ١٢٧ واقرأ ما مر عن الجامعة الأمريكية.

ثالثاً: تقنين الفاحشة، وتزيينها، والدأب في إشاعتها

مر بنا كلام كثير عن الاستباحة والارتكاس في حمأتها الوبيلة، وهذا ليس جديداً، لكن الذي جد في العقود الأخيرة هو الاستباحة التي يحميها القانون ـ والكنيسة في كثير من الأحيان ـ ومباركة الشخصيات العامة المرموقة لموضوع الاستباحة، وبذل الجهود وعقد المؤتمرات للترويج لهذه الأدواء الماحقة.

فلم يعد الكلام ـ إذن ـ كلام فنانين إباحيين، أو مفكرين بهيميين متمردين، بل صار يصدر عن أجهزة رسمية كبرى.

وقد رأينا السّعار الشيوعي للاستباحة، ونظريات لينين وإنجلز وماركس، لكن.. هل صارت هذه الأمور دستورية في المنظومة الرأسمالية؟ **دعونا نرى:**

- الرئيس **رونالد ريجان** يقود حملة ـ أثناء رئاسته ـ لتنظيم الجنس، داعياً الشاذين إلى الاكتفاء برفيق أو رفيقين تجنباً للإيدز.
- الرئيس **كلينتون** يربح انتخابات رئاسته الأولى عن طريق مغازلة الشواذ واليهود، ويفي بوعده بمناصرتهم والوقوف معهم.
- **مارجريت تاتشر وجون ميجور** يقودان حملة على صفحات كبريات الصحف لاستخدام العوازل الطبية Condoms عند ممارسة الشذوذ تجنباً للإيدز.

○ **كريس سميث** عضو البرلمان البريطاني يعلن أن ٦٥ عضواً من أعضاء البرلمان البريطاني من الشواذ جنسياً[١].

○ **القوانين الاسكندنافية** ـ في السويد والدانمارك وغيرهما ـ تبيح زنا المحارم، وتعده أمراً مشروعاً وقانونياً.

○ **الكنيسة الإنجليزية** تبارك ـ منذ ١٩٦٦م ـ زواج الشواذ تحت مظلة كهنوتية.

○ **الدول تفتح قرى ونوادي للعراة والشواذ** تحميها الشرطة ويحرسها القانون.

○ **الأمم المتحدة** تتبنى مؤتمر السكان ثم مؤتمر المرأة، وفيهما دعوة صريحة للحرية الجنسية المطلقة، وعدم تقييد الأبناء والبنات، وممارسة الجنس خارج بيت الزوجية، وعدم إعنات الشواذ، ونوقش هذا علناً، وتصدت له صحف وأقلام وعلماء ومفكرون لما لاحظوا دس المصطلح المشبوه (الزواج أو أشكال الاقتران الأخرى) وهناك سعي حثيث لتعميم ذلك عالمياً.

○ **حكومات** تغض الطرف عن السياحة الجنسية ـ العادية والشاذة ـ

١- المسلمون: عدد ١٤٧ وهؤلاء العميان هم أكثر الناس إحساساً بالمصائب المترتبة على الشذوذ، لكنهم يستعملون منطق «علي وعلى أعدائي» فكأنما يريدون الناس جميعاً مابونين متايدزين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن منظمة الصحة العالمية قدرت العدد التراكمي لحالات نقص المناعة ٥٠٤ مليون حالة حتى مطلع ١٩٩٥، كما قدر عدد الرجال والنساء، والأطفال الذين أصيبوا بفيروس الإيدز بنحو ١٩ مليون، وقد حسب بالإسقاط ٢١ مليوناً آخرون سيصابون بالعدوى حتى عام ٢٠٠٠، واحتمال تعرض المرأة للإصابة هو ضعف احتمال الرجل لها، فهناك الآن ٨ ملايين امرأة مصابة، والشابات والمراهقات هن أكثر تعرضاً، إذ يقدر عدد اللواتي سيصبن حتى عام ٢٠٠٠ بنحو ١٣ مليون امرأة، هذا بالإضافة إلى حوالي ٥٠٪ مليون حالة إصابة بالأمراض الجنسية الأخرى ـ كالسيلان والزهري وغيرها ـ تحدث سنوياً.. تخيل بشاعة هذه الأرقام، ثم تأمل ما يريد القوم.. الأرقام مأخوذة عن المجتمع ـ ع ١١٦١-٨/٨/٩٥.

حتى إن الحكومة السريلانكية تسكت عن تفشي ظاهرة بغاء الأطفال، باعتبارها جزءاً مكملاً للسياحة، وله مردوده المهم في اقتصاد الدولة(؟!)

وتيسر دخول السواح الغربيين لهذه المهام الساقطة، وحين افتضح التهاون الحكومي اعتقلت طبيباً فرنسياً أدين بمضاجعة أربعة صبيان، وغرمته عشرين جنيهاً استرلينياً(١) .

وقد بدأ وزير الداخلية البريطاني التفكير في اتخاذ عقوبات ضد البريطانيين الذين يرتكبون أعمالاً فاضحة مع أطفال آسيويين، فحسب إحصاءات نشرها مركز القضاء على بغاء الطفولة في آسيا السياحية فإن مليون طفل وطفلة يستغلون في ذلك، منهم مائتا ألف تايلاندي، وستون ألف فلبيني، وأربعون ألف سريلانكي، وآلاف في الهند وتايوان وبورما وفييتنام وكبوديا.

وتأتي بريطانيا في المرتبة الرابعة لهذه الانتهاكات بعد ألمانيا وأمريكا واستراليا(٢) .

○ **كانت أمريكا تعتبر الشذوذ الجنسي ضرباً من المرض العقلي** حتى عام ١٩٧٤ حين أسقطته الجمعية النفسية الأمريكية من قائمة الأمراض العقلية واستباحته أكثر الولايات الأمريكية، وبات أمراً معلناً(٣) ومبرراً من الناحية الجينية البيولوجية.

○ **صحافة الدعارة** تلقىٰ رواجاً كبيراً ومنظماً، وأكثر المجلات رواجاً هي مجلات الجنس للرجال، وهي صناعة تدر عائداً كبيراً ومبيعات

ويقدر عدد قراء المجلات الإباحية على أقل تقدير ـ بأربعة عشر مليون

١ـ الأسرة: ع١١، مايو ٩٤ والإصلاح ٣٢٦.

٢ـ المسلمون ـ ٢١/٧/١٩٩٥.

٣ـ Cultural Anthropology: 98

قارئ في أمريكا وحدها - ودرّت - في أمريكا وحدها أيضاً - ٨ بلايين دولار سنة ١٩٨٤م.

فعلى سبيل المثال توزع مجلة مثل «بلاي بوي» ٦,٤٠٠,٠٠٠ نسخة من كل عدد تصدره المجلة.

هذا مع العلم أن صحافتنا المسلمة لا تستنكف أن تكون صفراء[1] أحياناً تتبنى منهج الإثارة، وتكتب عن فضائح بعض الفنانات والأميرات والجرائم الخلقية، ولا تتورع أن تشغل الناس أسابيع أو شهوراً يسيرة امرأة تدعو للإباحة، أو مغنّ يتحدث عن علاقاته الآثمة، في الوقت الذي تهاجم فيه الحجاب، وتحمل حملات نارية على أهله.

○ ويضاف إلى هذا **مسابقات ملكات الجمال العالمية**، ومسابقات جمال أي شيء - حتى القطن والعنب وأبي عيون جريئة!! - ففي أمريكا وحدها: ملكة جمال الأطفال، ومس أمريكا، ومس بو إس إيه، والآنسة العارية (مس نيود) أمريكا، ومس بلاك أمريكا، ومس تين (مراهقة كل أمريكا) وأجمل ساقين، وسيدة القطن، والحبوبة الصغيرة، وأجمل فتاة في العالم.. مع العلم أن فحص المتسابقات يشمل كل شيء - كل شيء - ولا حول ولا قوة إلا بالله[2].

فماذا يريد هؤلاء أن تكون الأرض غير ماخور كبير؟!.

وهل يمكن أن يتحقق قصدهم في جعل الأرض مباءة دنسة؟!

لقد نبهنا رسول الله ﷺ أن الساعة تقوم على قوم لا خلاق لهم، ولا إيمان، يتهارجون تهارج الحمر، فقال عليه الصلاة والسلام في حديثه

١- الجرائد الصفراء: مصطلح يطلق على جرائد التابلويد المعنية بالفضائح والإثارة وتتبع الخصوصيات، وهي منتشرة في أوروبا وأمريكا انتشاراً واسعاً.

٢- السابق: وانظر كتابنا: تجفيف منابع الأنوثة - ملكات الجمال المسلمات.

الصحيح الذي أخرجه مسلم عن الدجال: إن الله تعالى يبعث ريحاً طيبة فتأخذ المؤمنين تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم. «**ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة**» أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما تفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك[1]، وإذا كنا لا نستطيع أن نقول إن هذا الذي يحصل اليوم من أدلة وقوع الساعة، فإنه ولا شك من العلامات الدالة بما لا يدع مجالاً للشك على قرب وقوعها، وإن أولئك يقربون ما بيننا وبين الدجال، أعاذنا الله من شره.

* * *

١- رياض الصالحين: ص ٥٧٤.

رابعاً: استباحة قتل الأجنة
وتقنين ذلك، ومحاولة تعميمه عالمياً

ولأن للإنجاب آصاراً وتبعات لا تتحملها المرأة «المتحررة» ولا تطيقها، ولأنها تريد ـ ويراد لها ـ أن تستمر منطلقة في جموح عارم، تغترف من الشهوات حتى البشم، فقد قامت المظاهرات النسائية والرجالية لاستباحة الإجهاض، وبذلت الجهود حتى تم إقرار ذلك في العديد من الدول، فأذن به، ونُظم أمره، وأقيمت العيادات الخاصة بعمليات الإجهاض الذي كثيراً ما يتم بعد استواء خلقة الجنين، وتمام نضجه، حين يقترب من الشهر الخامس أو السادس!

* والإجهاض قانوني ـ **وحسب طلب المرأة** ـ في كل من الولايات المتحدة وكوبا والصين وروسيا وتونس وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا والنمسا وبولندا.

* ويسمح به عند **تضرر العائلة أو المرأة** بميلاد الطفل في كل من الأورجواي واستراليا والهند وفنلنده وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبلغاريا وزامبيا ورومانيا.

* ويسمح به إذا كان **نتيجة اغتصاب أو سفاح**، أو عند تضرر المرأة والجنين في كل من الأرجنتين وبوليفيا وفنزويلا وتايلاند وماليزيا وتركيا وأسبانيا والكاميرون وجنوب أفريقيا وزمبابوي[١].

* وتحصل حالات الإجهاض غير القانونية في كل من مكان، إلا أنها كثيرة الحدوث في بعض الأماكن، ومنها باربادوس ٨٧٪ وكولومبيا ٥٦٪ وبوليفيا ٢٥٪، والبرازيل ٢٢٪ وشيلي ١٨٪.

* وفي الغرب والقطاعات المتحضرة في أفريقيا يحدث الإجهاض لصغيرات

١ـ Women in the worled - Abortion: 9

السن، وغير المتزوجات واللاتي يضطرون للإجهاض، لتأجيل عملية تربية الأولاد[١].

* وهو مباح في اليابان منذ عام ١٩٤٨[٢].

* في تقرير نشرته التايم الأمريكية وأكده معهد World Watch ورد أن **أكثر من خمسين مليون حالة تجهض سنوياً في العالم كله**.

وورد أن أعلى معدلات الإجهاض في العالم تحدث في الاتحاد السوفيتي السابق، إذ يبلغ سبعة ملايين حالة سنوياً.

وأن امرأة تموت كل ثلاث دقائق بسبب ذلك[٣].

* وفي أمريكا وحدها **يقتل مليون ونصف مليون جنين سنوياً** بسبب الإجهاض، كما كتب ذلك الرئيس ريجان نفسه، والذي صرح بأن ما تخسره أمريكا في سنة أكثر من كل ما فقدته في حروبها منذ إنشائها إلى اليوم.

* بدأت **بعض الكنائس تضفي المشرعية على عمليات الإجهاض** - رغم تحريم بابا الفاتيكان لذلك - فقد ذكر **كلاوس إنجلهارت** رئيس مجلس الكنيسة البروتستانتية في أمريكا أن قانون إباحة الإجهاض الذي أصدره البرلمان الألماني يجب أن يحظى بالاحترام[٤].

* كان من الدعوات التي رعاها مؤتمرا السكان والمرأة في سبتمبر ٩٤، ٩٥ في القاهرة وبكين تبنّي إباحة الإجهاض، وتم تمرير الفقرة الخاصة به في المؤتمر ضمن الوثيقة المطروحة على الحاضرين[٥].

تخيل معي أن يوأد - على طريقة المتحضرين - سنوياً عدد يساوي - بل يزيد على - عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية، وتخيل أن أمريكا يموت فيها - وحدها - سنوياً أكثر من العدد الذي مات في حروبها منذ حرب الاستقلال إلى حرب الخليج، **وتخيل** أن تأذن دول بإقامة عيادات للإجهاض تصطف على أبوابها الصبايا غير المتزوجات، اللواتي ضربهن الطلق.

تخيل وقل معي: إنا لله وإنا إليه راجعون.

١- السابق: ١٠٥.
٢- المرأة والأسرة: ١١٢٨.
٣- هاجر، ع٣ ديسمبر ٩٠.
٤- الخليج ٩٢/٨٢.
٥- العرب ٩٤/٩/٥.

خامساً: تعميم موانع الحمل ودعم المنظمات القائمة عليه، والترويج لأساليب التعقيم سراً وعلانية

.. الدول التي تنتهج سياسة لتنظيم النسل كلها ـ باستثناء الصين والهند ـ تعتمد على تمويل ودعم دوليين ـ وتعادل المساعدات لهذه الدول كلها ٥٠٪ من جملة المساعدات التي تقدم ضمن برامج خدمة السكان في هذه الدل الفقيرة.

وهذه المساعدات التي تقدم من أجل التخطيط السكاني أضحت وسيلة سياسية يمكن أن توقف أو تزاد أو تنقص لأسباب لا دخل للنساء ولا للإنجاب ولا لمصالح البلاد فيها.

وتهيمن على سوق موانع الحمل خمس شركات عالمية كبرى منها أربعة أمريكية، ويهمها تماماً أن يستمر ضخّ العوائد المالية من تجارة الموانع والتي تقدر سنوياً بالمليارات.. وهذه الشركات هم معمل وايت ـ Weyth Labs وشركة أورثو للكيماويات الطبية Ortho Pharmaceuticals وشركة ج. د. سيرل G. D. Searle وسينتكس Syntex ومن ألمانيا شركة شيرنج A.G. Schering وتتعاطى حبوب منع الحمل ٥٤ مليون امرأة في العالم كله.

وعادة ما تجرب هذه الشركات أشكالاً جديدة لمنع الحمل ـ بوسائل مريبة ـ على النساء في البلاد الفقيرة قبل تسويقها في العالم كله[1]. فنساء العالم الثالث رخيصات لا ثمن لهن، ودائماً ما يقبض غيرهن ثمن التجريب بأرواحهن وأمومتهن.

١ـ Women in the world: 104 - 105

وتتوزع نسب تعاطي موانع الحمل كما يلي:

البلـــد	النسـبة
١- في استراليا وأمريكا ونيوزيلانده وأوربا الغربية كلها واليابان والصين وكوستاريكا	أكثر من ٦٠٪ من النساء
٢- في البرازيل والأرجنتين وفنزويلا وكولومبيا وبنما وأوروجواي والمكسيك وتايلاند وتركيا وفلسطين المحتلة وإسانيا وبولندا ورومانيا وبلغاريا	من ٤٠-٥٩٪ من النساء
٣- في تونس ومصر والأردن وسوريا والعراق وإيران والهند وماليزيا وإندونيسيا وبيرو وباراجواي[١]	من ١٥-٣٩٪ من النساء

وبجانب منع الحمل - أو تنظيمه كما يشاع - هناك **التعقيم** الذي يتم ضمن سياسة ما يسمى بتنظيم الأسرة، حيث تنطلق فيه دول كثيرة إلى أمداء بعيدة، فمع الإباحة الجنسية يمارسون التعقيم **اختياراً أو قسراً**.

والتعقيم بغير إعلام المعقّم - وكذا **التعقيم القسري** - أمران واسعا الانتشار، ويمكن إثبات وجودهما في العديد من الأقطار، وكذا الإجهاض الجبري للنساء في الصين[٢].

ويتحدث تقرير اليونسكو - الدراسات الاجتماعية عن المرأة في الوطن العربي، ص ١٣١ - عن أن تنظيم الأسرة في المغرب - مثلاً - لم ينجم عن خيار شعبي بل إنه قد فرض على الشعب من أناس أقصى أمانيهم الانسلاخ من العروبة والإسلام، والانتماء لدول الكومنولث؟!.

كما تتحدث الأخبار عن **مهرجانات التعقيم** التي تجرىٰ في تايلاند في عيد العمال، حيث يصطف الشباب لإجراء عملية التعقيم بقص

١- السابق فصل 7 :Population policies

٢- Women in the world: 104

القنوات المنوية كما ذكرت ذلك جريدة المسلمون في أحد أعدادها.

ومنذ عام ١٩٧٠ والتعقيم يتم في أمريكا والمكسيك وجواتيمالا والسلفادور وبورتوريكو وكولومبيا والبرازيل وبوليفيا وإندونيسيا وبنجلاديش والهند والصين، بل إن النسبة لتصل إلى ٥٠٪ من دول العالم الفقيرة، أي على مستوى نصف نسائها تقريباً[١].

وقد أقر عدد من القيادات النسائية صراحة بأن حركات تنظيم النسل تمول من الخارج ـ لحاجات في نفس إبليس ـ فها هي **فاطمة المرنيسي** تعلن[٢] أن جهود تنظيم النسل في المغرب تمولها جهات أجنبية منها مؤسسة فورد، والوكالة السويدية IPPF للتنمية، ومجلس السكان U.S. AID، والوكالة الكندية الدولية للتنمية CIDA، ووزارة الخارجية الأمريكية.

ويتحدث **تقرير اليونسكو**[٣] عن البصمة الفرنسية في أنشطة تنظيم الأسرة من خلال **فرض سياسة التنظيم** على الشعب الذي لم يختر ذلك، ولم يرضه، بل أجبر عليه في أغلب الأحيان.

وعلى طريقة «قبّل يدي لأذبحك» يقول **بارون** في دراسته عن الأسرة البروليتارية في المغرب: إن الشعب المغربي سوف يرد التفهم الذي أيدناه له بإيلائنا الثقة؛ إذ إن ميوله مجندة لنا، كما أنني أعتقد بأنه يتوقع توجيهنا إياه نحو المثل الأعلى الذي استحدثه وجودنا في المغرب (؟!!).

والدعوة لتحديد النسل في مصر ممولة من الخارج، فقد بدأت أوروبا بعد تهيئة الأجواء لدعوات تنظيم النسل في إرسال ملايين الدولارات، ونشرت صحف القاهرة خبراً مفاده أن الولايات المتحدة رفعت المعونة المقدمة منها إلى جمهورية مصر العربية والخاصة بتنظيم الأسرة من ٣٦ مليون إلى ٤٥ مليون دولار[٤].

١- Women in the world: Populqtion policies: 7   ٢- Doing daily batte

٣- ص: ١٢٧ وما بعدها.

٤- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ـ ٢٧١.

وقد أخبرني أحد أساتذة كلية الطب العرب الثقات أنه حين كان مدرساً مساعداً كانوا يقومون بحالات تعقيم النساء اللاتي يخضعن لعمليات جراحية دون علمهن، وأنه رفض المشاركة في هذا ـ رغم الضغوط ـ ولم يدعوه يخرج إلا بعد أن استفتى العلماء، وأتى لهم بفتوى رسمية مكتوبة أن هذا الفعل محرم شرعاً فأعفوه هو وحده.

وحدثني طبيب بدأ حياته في وحدة صحية ريفية حيث تتجه الدعوة لتحديد النسل بقوة ـ أن حبوب منع الحمل ـ على ضررها الثابت طبياً، وكذا العوازل واللوالب تباع بأسعار لا تساوي ثمن تغليفها، ولا العبوات التي وضعت بها، بل إن أثمانها الرمزية التي تحصَّل كانت توزع على الأطباء والممرضين والعاملين بمشاريع تنظيم الأسرة، لحفزهم على بذل المزيد في توزيع هذه المواد.

يتم هذا رغم أن الفكرة تخدم ـ أكثر ما تخدم ـ سياسات أجنبية، ورغم وضوح المغالطة الكبرى في إلقاء عبء آثار التخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي على قضية السكان، مع أن هنالك دولاً تزيد الإنجاب، وتريد من النساء المزيد من الأطفال لدعم القوة العسكرية، بل إن بعض الحكومات ـ مثل فرنسا وألمانيا وفنلندا ـ لها مواقف رسمية قوية لتشجيع الإنجاب لكنها لا تجعله إجبارياً[١].

ولعل مما يلفت الأنظار بشدة موقف أوربا الغربية وأمريكا من النسل، فهناك تشجيع زائد على الإنجاب وحوافز تدفع للأمهات، ودعوات رسمية للازدياد منه، حتى إن الصحافة أشارت أيام رئاسة **ديستان** لفرنسا أن زوجته اختارت الأمهات المثاليات على مستوى الدولة من اللواتي أنجبن نحو ثلاثة عشر مولوداً.

١ـ Women in the world: 104

وفي **إيطاليا** صدر قانون ضد منع الحمل المراقب، فقد صدرت رسالة بابوية عام ١٩٦٨ تمنع ذلك.

وفي **إسبانيا** يحظر بيع وسائل منع الحمل.

وفي **ألمانيا** دعوات تحذر من انقراض الألمان في القرن القادم، إن لم يحصل توازن بزيادة عدد المواليد.

والرئيس اليوناني يحضُّ على إنجاب المزيد من الأبناء لإقامة قوات مسلحة ضخمة لمواجهة القوات التركية وتهديداتها(١).

أما في اسيا **فالحكومة المنغولية** تشجع المواطنين على زيادة الإنجاب، وتكافئ من تنجب ثمانية أطفال بلقب الأم المثالية(٢).

وفي **سنغافورة** ـ الدولة الضعيفة المأهولة ـ تقدم الدولة حوافز مالية للأزواج، كي ينجبوا المزيد من الأطفال(٣).

وأكثر من ذلك فإن **كيسنجر** دعا إلى «**فرض**» **سياسة منع الحمل على دول الجنوب** ـ الدول الفقيرة ـ **محافظة على المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة** ـ على حد تعبيره ـ ولفت نظرنا التضارب الرهيب والازدواجية في هذه الدعوة المشبوهة.

فأوربا التي لا تزيد مساحتها على مساحة السعودية فيها نحو ٣٥٠ مليوناً من البشر بينما السعودية مثلاً لا تزيد كثيراً على ١٠ ملايين، والوطن العربي تزيد مساحته على مساحة أمريكا ـ ١٤ مليون كم^2 ـ وفيه مائة وخمسون مليوناً، بينما تتعدى أمريكا الثلاثمائة مليون، ومع ذلك فهم يدعون إلى التكاثر هناك، وإلى قطع النسل هنا(٤).

١- المرأة والأسرة: ١٠٨٥-١٠٨٧ وكذا Women in the world

٢- الراية: ٩١/٨/١٦.

٣- العرب ٩٠/١٢/١٨.

٤- انظر تجفيف منابع الأنوثة ص: فقرة: عيشوا كالبهائم.

وربما ثار سؤال:

لماذا تنخفض معدلات الإنجاب في أمريكا وأوربا، رغم الإباحية المطلقة، وتقدم الرعاية الصحية، ونهمهم الذي لا ينكسر للجنس والحرام؟

هناك أربعة أسباب لذلك هي:

انخفاض معدلات الخصوبة، وكذا انهيار الزيجات مع ارتفاع معدلات الطلاق، والمحاولات الدائمة لإيجاد أشكال جديدة للعائلة (زواج رجل برجل وامرأة بامرأة.. إلخ) والمعايير الجنسية الجامحة التي تسود المجتمع[١].

ولقد انخفضت معدلات الولادة في أمريكا إلى النصف بعد عام ١٩٥٧ من ٣٫٦٩ إلى ١٫٨١، وليس هناك مؤشر على ارتفاع هذه النسبة ـ كما يقول Newitt ١٩٨٥ ـ ومعدلات الإخصاب في الطبقات الاجتماعية في أمريكا هي ٢٫١ في الطبقات العليا، ١٫٦ في الطبقتين الوسطى والدنيا، ويتوقع استمرار ذلك إلى القرن القادم[٢].

لذلك فإن دعوتهم وحرصهم الشديد على تحديد النسل في العالم بعامة ـ وبلاد المسلمين بخاصة ـ غير منزهة عن الغرض الاستعماري بتصريح كيسنجر وغيره، **فتأمل**.

* * *

١ـ Cultural Anthropology: 399

٢ـ السابق نفسه، ويصل معدل الإنجاب إلى ٦ للمرأة الإفريقية، و ٤ في اسيا، و٣ في أمريكا اللاتينية وينخفض إلى ١٫٦ في أمريكا.. وإذا أطرد هذا المعدل، فإن دول الجنوب ستتفوق ـ حتماً ـ بطريق السكان، لذا فإن هناك اتجاهاً لفرض تحديد النسل، الأرقام مأخوذة من الشعب ٨/٩/٩٥. ١ـ Cultura Anthropology: 399

سادساً: استباحة الطلاق
بعد تحريم كنسي عمره ١٩٥٠ سنة

.. أوربا التي لا تستحي من الله تعالى ولا من عباده ظلت ـ ولا تزال ـ تسبّ الله تعالى ودينه، لأن الإسلام يبيح الطلاق المضبوط بضوابط شرعية ويعده ـ كالكي ـ آخر الدواء.

ثم بدأ لأوربا ـ بعد مراجعة للنفس طالت ـ أن تستبيح ما حرمته على نفسها قروناً وقروناً، فتطرفت في فتح الأبواب على مصاريعها لهجر النساء وتطليقهن بطريقة وبائية، وصار هذا الطلاق يتم إما بمباركة وقبول كنسي وإما بموافقة قانونية من خارج سلطان الكنيسة، والأرقام مدهشة، والحقائق أشبه بالخيال.

وقد كتب الفيلسوف برتراند راسل في كتابه عن الزواج والأخلاق Marriage and Morals ينادي باستباحة الطلاق أيام كان محظوراً فقال:

لقد وجدت أمريكا الحل لمشكلة النفور والبغضاء بين الزوجين في الطلاق، وإني أرى أن تحذو انجلترا حذو أمريكا، وتبيح الطلاق على نطاق أوسع مما عليه الوضع حالياً[١].

ويندمج المطلقون هنالك في الأعمال الجنسية بعد أسابيع يسيرة من وقوع الطلاق ـ وربما قبله ـ فهم لا يعرفون العدة ولا براءة الرحم، ولا يهمهم معرفة ذلك، **فثلثا المطلقين** هناك و٩٥٪ من المطلقات يستغرقون في الجنس البعيد عن الزوجية بشكل سافر[٢].

١- Women in the Egyptian Public life: 52

٢- Family and Tranition: 327

وإذا كانت نسبة الطلاق في مصر والشام لا تزيد عن ٥ر١٪[١] فإنها في أوربا وأمريكا عالية تماماً كحالات الاغتصاب والشذوذ والخيانة الزوجية.

* فها هي اليهودية **ليندا سونتاج** خبيرة الشؤن الاجتماعية تجري استبانة أظهرت نتائجها أن ٤٠٪ من الزيجات التي تمت السنين العشر الأخيرة في بريطانيا انتهت بالفشل والانفصال[٢].

* والإحصاءات الفرنسية تشير إلى أن **ثلث حالات الزواج** بين الفرنسيين ينتهي بالطلاق وأن عمر الزواج لم يعد يتعدى ست سنين[٣].

* وكتبت **وول ستريت جورنال** في ٢٦/٩/٨٦ أن **واحداً من كل أمريكيين طلق قرينه**، وأن الرجال يوقعون الطلاق هنالك ببساطة، فهو بين المتزوجين لأول مرة يصل إلى ٣٣٪ وللمرة الثانية بمعدل ٥٠٪[٤].

* وتصل نسب الطلاق في بعض دول أوربا إلى سبعين بالمائة.

وتعالوا إلى الإحصاءات، ونتحدى:

كم نسبة حالات الطلاق من مجموع المتزوجين في مصر أو سوريا أو الجزائر أو موريتانيا أو لبنان أو غيرها.. وكم هي في أوربا؟[٥].

كم نسبة مجموع المطلقات في الوطن العربي كله ـ بما فيها منطقة الخليج التي ترتفع فيها النسبة ـ إلى مجموعه في دول أوربا؟

الحقيقة أن القوم ﴿**يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا**﴾ [**التوبة**: ٣٧].

﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [**البقرة**: ٩].

١ـ الأسرة ع ٣/١٩٩٣ والمرجع رقم (١) ص ٥٢ والجدول ص ٧٨.

٢ـ الأسرة ١٥/١٩٩٤.

٣ـ Cultural Anthropology: 400

٤ـ استعباد المرأة: عليمحمد علي ـ ٢٦.

٥ـ مر أنها في المتوسط ٥ر١ من حالات السكان بينما هي في أوربا تزيد أحياناً عن ٧٠٪، انظر: احذروا الأساليب الحديثة: ٢٥٢، والأسرة ع ٣/٩٣.

سابعاً: تكريس النموذج الغربي والدعوة إليه بقوة

.. الإنسان الغربي - في كثير من الأحيان - كائن متأله، يرى نفسه فوق كل الأجناس، ويعشق السيطرة والغلبة، ويتلذذ بإرهاق الآخرين وإعناتهم وهو شديد النرجسية يرى نفسه الأقوى والأذكى والأولى بالاتباع، على ما هو عليه من انهيار نفسي وأخلاقي واجتماعي وعقيدي.

وانطلاقاً من هذه النرجسية وعشق السيطرة فإنه يعمل جاهداً على نشر الأنموذج الغربي وتعميمه في العالم كله، إما مباشرة أو من خلال وسطاء رباهم على عينه، ونشأهم وأطعمهم وسقاهم، فباتوا لا يرون أنموذجاً غيره - بعجره وبجره، وخيره وشره، وحلوه ومره - وصاروا من الدعاة له، المتحمسين لأساليبه، والمتنكرين لما سواه، ولو كان من عند الله تبارك وتعالى.

ودعوانا هذه لا نطلقها جزافاً، بل صرح بها - جهاراً - دعاة «التحليل» في بلاد المسلمين، كما **صرح بها المنظّرون الغربيون أنفسهم**:

○ فها هي **فاطمة أحمد إبراهيم** تحتج - فقط - لأن المرأة تحتل في مدن بعض البلاد العربية مكانة أدنى من مكانة الرجل، وتتعرض للاضطهاد لكونها أنثى عاملة (؟!) لكنها تقرّ - في لحن قولها - أنها غربية تماماً، تلبس آخر صيحات الموضة الأوربية، وتتمتع بحرية الاختلاط والحب والعلاقات الجنسية (؟!!) **وتعمل ممثلة وراقصة وعارضة أزياء**[1].

١- هذه ألفاظهم تنبئ عنهم، وهذه هي نماذج المرأة المتحررة عندهم.. فأنى يؤفكون.

○ وفي التقرير ٢٧ **عن النساء العربيات** جاء أن معظم اللاتي سُئلن من النساء يدنّ للغرب بالأنموذج الذي يردن احتذاءه، فالنساء الأنيقات اللابسات على النمط الغربي، يُرين في المحلات والمكاتب والباصات وخلف مقاود السيارات، وتمتلئ الصحف - في تونس - بالحديث عن حقوق المرأة ومسؤولياتها، ومزايا تعليم الجنس في المدارس!

○ وفي موضع آخر[١] يقول الكاتب: إن المرأة في مصر وتونس ولبنان متحضرة، إذ يمكن مقارنتها إلى حد كبير بالمرأة في أوربا في نمط الحياة، وإن المرأة قد ملكت حقوقاً سياسية كاملة بنص الدساتير في كل من مصر والجزائر والعراق والأردن ولبنان وليبيا والمغرب والسودان وسوريا وتونس واليمن الجنوبي (سابقاً)[٢].

○ وفي **تقرير اليونسكو عن المرأة في العالم العربي**[٣] يصرح أحد قادة التطور الاجتماعي أن الأنماط المعيشية الغربية اعتبرت على الدوام أعلى شأناً - بل هدفاً مقصوداً - ولا تتحدث «فريت» فحسب عن الملابس الغربية التي ترتديها الشابة العربية، بل إنها تلقب مصر وسوريا بالبلدين الغربيين، مما يفهم أن التحرير على الطريقة الغربية هو المثل الأعلى الذي ينبغي أن تسعى إليه المرأة العربية.

○ وفي البحث نفسه ينقل الكاتب[٤] عن **عالية بفّون** أن الدراسات حول الأسرة والزواج في شمال أفريقيا تسير في خطين:

إما إلى التفكير الأيديولوجي الديني، أو إلى هيمنة الأيديولوجية في صورتها الغربية، وهي الأعلى الآن.

١- انظر ص ١٤,٤ من: Arab women - Report No. 27

٢- السابق: ص ٥. ٣- ص: ٣٤.

٤- ص: ٧٩.

○ ويشير الدكتور **مصطفى الفقي**[1] إلى دور مجلة مثل روز اليوسف في دعم مشروع النهظة الحديث، وأنه استوعب كل خصائص المفهوم الغربي للحرية، خصوصاً ما كان متصلاً منه بالموقف من التراث الثقافي، والعامل الديني، والاهتمام بالتقدم العلمي، ومشاركة المرأة في المشروع كله.

○ وعن دوافع تحرير المرأة العربية **يقول تقرير اليونسكو الذي سبقت الإشارة إليه**[2]:

كان من العوامل الأساسية عاملان ذَوَا تأثير فعّال في تمهيد السبيل أمام إحداث تغيير في وضع المرأة العربية.

الأول تطوري له علاقة بالتحديث الذي يقصد به انتشار الثقافة الغربية المتلازم مع انتشار حركات تحرير المرأة.

والثاني ذو طبيعة ثورية نشأ مع مرحلة ما بعد الاستعمار، لتبرهن المرأة على أنها جزء لا يتجزأ من الاقتصاد الوطني، وأنها عنصر ضروري في التنمية.

وإن مفهوم التحديث في الأبحاث المتعلقة بالمرأة يتجه مباشرة نحو المفهوم الغربي والأنموذج الأوربي للمرأة.

○ وتؤكد **باتاي** ـ ١٩٧٢ ـ أن جميع النساء اللاتي يناضلن من أجل التحرير إنما يكافحن في سبيل التجديد والثقافة الغربية.

○ كما تكثر **نات** من استعمال كلمة غربي في وصفها لتطور المرأة الكويتية، وهي التي قالت:

بحلول عام ١٩٧٠ كانت ملابس المرأة الشابة وأنماط معيشتها قد تغيرت بالقدر الكافي بحيث طابقت نظيرتها الغربية[3].

وأشار التقرير إلى أن الدراسات النسائية في المغرب العربي قد برزت

١- روز اليوسف ـ ع ٣٣٥٤ سبتمبر ٩٢.

٢- ص: ٢٦٧.

٣- السابق: ٣٤.

فيها النزعة الفرنسية إلى السيطرة، والتي استهدفت ـ تحت غطاء من الأبوة الزائفة ـ دمج جيل من المغاربة الجدد في حياة فرنسا الثقافية، وطبقة العمال المغاربة في عمليات الإنتاج الرأسمالي.

○ ويقول **بارون** في دراسته عن الأسرة البروليتارية إن الشعب المغربي سوف يرد التفهم الذي أبديناه له بإيلائنا الثقة، إذ إن ميوله مجندة لنا؛ كما أنني أعتقد بأنه يتوقع توجيهنا إياه نحو المثل الأعلى الذي استحدثه وجودنا في المغرب[1].

فهل نموذج المرأة الغربية جدير بالحتذاء فعلاً؟

- ***هل الفكر الذي حول المرأة إلى العوبة ومباءة جنسية جدير بالاتباع؟***
- ***هل النموذج الذي تغتصب فيه امرأة كل ثلاث دقائق جدير بالاتباع؟[2]***
- ***هل النموذج الذي يسود فيه الأطفال غير الشرعيين[3] بنسبة كاسحة جدير بالاتباع؟***
- ***هل المجتمع الذي يعيش أفراده بنسبة ٦٠٪ متعاشرين بلا زواج ولا أعباء أو التزامات جدير بالاتباع؟***
- ***هل المجتمع الذي تدعو فيه ـ حتى الطوائف المسيحية ـ إلى الجنس العشوائي جدير بالحتذاء.***

ويل لمن رزقه الله تعالى عقلاً فألغاه، وعينين فأعماهما هرباً من الحق الأبلج، ويل له ثم ويل له.

١- السابق: ١٢٧.

٢- في أمريكا يقع مائة الف حادث اغتصاب عام ١٩٩٠، والمعدل الوطني ١٢ حالة في الساعة: انظر: الراية ٢٣/٣/٩١. وفي جنوب أفريقيا تغتصب عشر سيدات في الدقيقة كما ورد في المجلة العالمية المصورة التي تبث دولياً!! ـ ولو ضرب الرقم ٦٠X٢٤X٣٦٥ لكان مجموع حالات الاغتصاب مرعباً ٥,٢٥٦,٠٠٠ حالة ولو كان المذيع قد اخطأ نطق الرقم وكان عدد المغتصبات عشراً في الساعة لكان المجموع سنوياً ٨٧٧٠٠ امرأة.

٣- في أمريكا ١٩ مليون طفل ابن حرام أي يساوي واحداً من كل ثلاثة أطفال ـ العربي ـ يوليو ٩٥.

الفصل الثالث
نظـرة تطبـيـقـيـة

توظيف الأدب في تغريب المرأة، وتحقيق الهجمة على العفاف الإسلامي، ومواكبة الأهداف التي يريدها الخصوم

توظيف الأدب في تغريب المرأة، وتحقيق الهجمة على العفاف الإسلامي، ومواكبة الأهداف التي يريدها الخصوم

.. أكاد أزعم أن الفنون التي نشأت ترفيهية تحولت ـ في العقود الأخيرة ـ نتيجة لجَلَدِ أصحابها ودأبهم، وتسللهم إلى مواضع التأثير ، إلى وسائل قيادة للأمة، وصناعة لعقلها، وتوجيه لفكرها.

وهذه العناصر هي: **الغناء والسينما والتلفزيون**، وقبلها ـ بكل أسف ـ الأدب الذي ينبغي أن تكون منزلته أسمى مما ارتكس فيه بفعل مجموعة من اليساريين ـ سابقاً ـ الذين خطّوا له مساراً عميقاً ومؤثراً في حياة الناس، بداية من الخمسينيات فالستينيات من هذا القرن.

لن أتكلم عن **السينما** التي غلبت على عروضها أفلام المقاولات، وسير البغايا، وفنون تعاطي المخدرات، والإباحية المعلنة التي يمارسها بعض الممثلين تحت مسمى الإبداع[1].

ولن أتكلم عن **المسرح** الذي استباح ـ تحت مسمى التجريب ـ أن يسخر من الكعبة المشرفة ومن المقدسات وسير الأنبياء وأخلاق الأمة.

ولن أعرض لسير **شعراء المجون** أو الاستباحة الذين وقفوا حياتهم على تعرية المرأة من حيائها وثيابها، ودنياها وآخرتها، **كنزار** الذي يعمل منذ صدور ديوانه الأول ـ أوائل الأربعينيات ـ على تمريغ شرف النساء في الوحل والرذيلة.

١- رصد أبو إسلام أحمد عبدالله في كتابه: الكنيسة والانحراف الجنسي جملة من الشواهد المخزية ص٨ وما بعدها فارجع إليها.

ولن أقف أمام **التلفزيون والبث المباشر والدش والفيديو..**

لن أفعل ـ وإن كان كل هذا يحتاج إلى وقفة متأملة فاحصة، تقرأ وتحلل وتنبه ـ لكن سأقف قليلاً أمام **الرواية العربية والصورة الأخلاقية للمرأة فيها**، عبر دراسات وأعمال كبار النقاد والقصاصين العرب، الذين حاولوا رسم صورة للمرأة من خلال الروايات والقصص القصيرة التي صدرت في النصف التالي من هذا القرن، **ليقع اليقين أن الناس لا يعبثون ولا يتلهّون، بل إن الباطل يعمل في عدة مسارات متواكبة متكاملة في آنٍ معاً، لترقد الرواية السينما، وتغذي الأقصوصة التلفاز، وليستفيد المسرح من الإبداعات الأدبية، ليكون ذلك كله في النهاية والمآل في خدمة التغريب، وسلخ الأمة عن هويتها ومواريثها وقيمها**، لحساب قيم ومواريث وأخلاق وعقائد هي أبعد ما تكون عن صالح هذه الأمة، وإنما هي **سخرة** لصالح الخواجة، لكن في ثوب جديد، **وخيانة ثقافية** متشحة بأثواب المنهجية ودعاوى الإبدع، لتعطي فروخ الأيديولوجيات فرصةً للنيل من الأديان ـ بعامة ـ والإسلام بخاصة، وليصير الراقصون وأرتستات علب الليل ومدمنو المخدرات **فقهاء زمن الفتنة**، يقودون مسيرات التصفية الجسدية والعلمية لحساب الآخرين، ويتشفون بإهانة الإسلام والدعاة له.

ولا شك أننا بعد قراءة سريعة سنحس تماماً بمعنى التكامل بين التنظير والتطبيق، ونوقن أن هؤلاء (المستنيرين) يعملون معاً بروح تكاملية، ويتجهون نفس التوجه، رغم اختلاف الشكل الثقافي والقالب العلمي، وأنهم كالأواني المستطرقة، يفضي بعضهم إلى بعض، ليكون السطح واحداً ومتساوياً في النهاية، رغم اختلاف أشكال هذه الأواني المستطرقة.

وأريد على هذا أن الذين حملوا على سلمان رشدي مساكين، إذ إن في بلادهم ألف سلمان، يستظل بظل القانون ودعوى حرية الرأي، بينما يهدم ـ ما وسعه الهدم ـ في عقيدة الناس، ونظام المجتمع، بل والقانون ذاته[1].

ولعل تلميع هذا الكويفر سلمان رشدي ـ على تفاهته ـ كان جزءاً من مسرحية مرسومة بعناية ـ وعلى نطاق واسع ـ للطعن في الإسلام والتشهير به، وتجريسه دولياً، فكيف يبتلع الطيبون الطعم، ويغفلون عن عشران الأقزام الذين يحرصون على أن يقودوا عقول الناس ويحركوهم.

وعلى كل حال: فحتى أبعد عن نفسي شبهة التحيز، أو الإنطلاق في أحكامي من رؤية مسبقة، فقد لجأت في تناولي لهذا الفصل لكتابات وآراء عدد من كبار النقاد العرب الذين لا يشك أولئك الرواثيون أنفسهم في أستاذيتهم وحيادية تقييمهم، وقدرتهم الأدبية الفائقة[2]، جعلتهم عيني التي أنظر بها لعدد من الأسماء الأدبية الكبيرة عبر الوطن العربي، مستطلعاً صورة المرأة في الرواية العربية، مشرقيتها ومغربيتها.

١- يلاحظ تعالن كثيرين بالجرأة على الدين مثل التركي عزيز نيسين، والبنغالي تسليمة نسرين وعدد من كتاب المغرب العربي، فضلاً عمن ارتدوا رداء الإبداع أو المنهجية أو الفنون الجميلة في مصر مثل علاء حامد وسعيد العشماوي ونصر أبو زيد وأحمد صبحي منصور وغيرهم، في وقت واحد، ويلاحظ الهبّة التي قامت لمناصرتهم ـ عالمياً ـ والتكتل والدفاع عنهم.

٢- محرر هذه القراءة يعتمد على:

أ - الرواية في الوطن العربي للدكتور علي الراعي.

ب - صور المرأة في الرواية المعاصرة للأستاذ الدكتور طه وادي.

ج - المرأة الأنموذج في الرواية العربية الحديثة لشمس الدين موسى.

د - Image of Arab women, Mona Mikhail

هـ - المرأة الجزائرية ـ الحيّز المادي النسائي في الرواية الجزائرية ـ ص: ٢٢٥.

ويرجع الاهتمام بالرواية في هذا العرض لأنها تعبر بجلاء عن هوية الكتّاب وانتماءاتهم، وهي مصب خلاصات آرائهم العقدية والاجتماعية والإصلاحية، وهي رافد يعتمد عليه ـ كلياً ـ التلفزيون والسينما، وكثير من أعمال نجيب محفوظ ويوسف إدريس والقعيد وثروت أباظة ووحيد حامد وغيرها قدمت في التلفزيون والسينما.

كما أن الأعمال الروائية قد لا تُلحظ خطورتها مباشرة، بل لابد للباحث ـ لكي يرسم صورة واضحة ـ أن يقرأ منها كماً كبيراً من الروايات، لكم كبير من الكتّاب، عبر مساحة شاسعة هي مساحة الإبداع باللغة العربية، تماماً كلوحة الفسيفساء المكونة من قطع صغيرة ودقيقة بالألوف تكوّن صورة ـ في النهاية ـ واحدة.

لذا رأيت أن من الإنصاف أن أعود إلى رجل في قامة الناقد الكبير الدكتور **علي الراعي** لأستطلع نظرته، وهو وإن كان يجنح في التعليق ـ على ما أزعم ـ لكن له آراء فيها صواب من وجهة النظر الأخلاقية، وأما الدكتور **وادي** فقد كرس نفسه في دراسته المكتوبة في وقت أبعد من دراسة **د. الراعي** لتبرير الاشتراكية فكراً وسلوكاً ومنهاج حياة، ربما دون محاكمة عقلية منصفة لها في كثير من الأحيان.

وسأتعامل في هذه القراءة من خلال المحاور التي يتكئ عليها دعاة التحرير، وهي التمرد والرفض للدين، ودعوى قهر المرأة واحتقارها ومفهوم العفة عند دعاة التحرير، وأخيراً تبرير الزنا والشذوذ، وتحسينهما في عيون القراء؛ على ترتيب هذه المحاور في الفقرات المستعرضة.

أولاً:
التمرد ورفض الدين بدعوى أنه ضد الحرية والتحضر

في مقدمة كتابه الكبير ـ ص ٩٥ ـ يقول د. الراعي راسماً الخلفيات الفكرية التي يستفرغها الأدباء في كتاباتهم:

لأن الفرد العربي مقهور يسعى إلى أن يقهر غيره ممن يستطيع غضبه أن يصل إليه، ومن ثم يضيق الرجل العربي الخناق على المرأة العربية، ويلزمها موقفاً أكثر تخلفاً من موقفه هو، بدعاوى كثيرة: الشرائع، الأعراف، ضرورة صون الشرف من عار يلحقه إن زلت المرأة، ولا يلحقه ـ أبداً ـ إن زال الرجل.

ويوجه الروائي العربي اهتماماً خاصاً لموضوع المواجهة بين الأخلاق التقليدية والأخلاق المتحدية، ثورية كانت أو مجرد عاصية[1].

ففي رواية الجزائري رشيد **بوجدرة ـ التفكك** ـ تثور المرأة على الوضع المتدني ثورة عارمة كاسحة، تزيح في طريقها الأعراف كلها، وتحطم المواضعات، وتتحدى الوضع البيولوجي للمرأة.

فهو يحكي لنا عن **سالمة** المتعلمة التي تشرف على المكتبة الوطنية، وتدخن علبتي سجائر، وتطالع الكتب والمجلات، **وتحمل في يدها صفيحة من أقراص منع الحمل**، تعشق ثم تندم، وتقطع العلاقة كلما شعرت بأن صاحبها قد بدأ يتعلق بها.

١- ص ١٣، ولا تخفى المقابلة بين ثورية وعاصية في العبارة من مثل د. الراعي، ولاحظ ترديده للمقولات ذاتها التي أشرنا إليها في البحث فيما مضى، ويرددها «المبدعون» فيما سيلي.

وبعد أن فقدت صديقها الطاهر الغمري صارت حرة طليقة ترجع إلى البيت في ساعة متأخرة، تفكر في أن تمارس الجنس مع صديقها الوحيد، وتقول في عناد وتحدّ محاورة نفسها:

أكره الأمومة.. وكل النساء أمهات وضعن لهذا الدور منذ الطفولة، وأنا الطائشة لن أكون أماً..

رجال العالم: موتوا فجسدي ملكي، وليس ملك أحد.

وتمثل **سالمة** ـ كما يقول د. الراعي ـ المرأة العربية وقد تحررت من أغلال القرون، وقررت أن تعلن حرباً على الرجل ـ رمز القهر والظلم ـ ورأت أن قدرها أن تكافح ضد الرجال والنساء، ومضت في التحدي فأعلنت أنها تخلصت من بكارتها، لا تدري أين ولا كيف، ولا بأية وسيلة، وإنما فعلت هذا نكاية في الرجال (؟!) **واحتجاجاً على آلاف القرون من استغلال المرأة.**

وكانت سالمة ذات إصرار على أن تستخدم الكلمات الغليظة والداعرة التي يستخدمها الرجال، ويعتبرونها حكراً عليهم، وتسبهم بألفاظ مقذعة حينما يعرضون عليها ما يظنون أنها تذرع الشوارع من أجله.

> **ورشيد بوجدرة** *يعرض الجسد البشري في كل أحواله ـ بما فيها الأحوال التي تتناهى في التدني ـ* ***جسم المرأة أصبح في الرواية معروضاً علناً ـ كالنبيحة في الأسواق ـ شهوتها، شبقها، سعيها إلى أن ترتوي.***
>
> *وفي حالات ـ يقول د. الراعي ـ* ***يبدو وكأن الرغبة في التصريح والإعلان وكشف العورات هي المحرك الأول لها.***

وفي **الوباء** للسوري **هاني الراهب** يقول عن مريم خضير التي تحب الحرية على حد تعبير زوجها حسن الغفري:

لو كان حسن يحبك لما صرت أنت زانية.

قالت: أنا زانية؟ يعني أنت تقرف مني؟!

أجاب: **بلهاء.. الزانية مقدسة،**

أنت تهدمين المزارات النتنة في عقولهم.

سألتها خولة: ألا تندمين على شيء؟

فأجابت: على أي شيء أندم؟ ماذا يريد ابن آدم من حياته؟

كنت دافئة في عز الشتاء، قد أكون خالفت وجدان الناس، غير أني عشت، ومن لم يعش مثلما عشت لا يكون عاش.. شبعت حباً وخبزاً وحرية، والناس جائعة مذلولة.

ويناقش د. الراعي وضع مريم بكلام لا يخلو من غرابةٍ وانسجام مع جوها الثوري العام، فيقول:

ربما تكون الرواية قد بالغت في إضفاء صفة الثائرة المتمردة على مريم، وجعلت تقلبها بين العشاق نوعاً من الصدام بين المألوف الخانق وبحثاً عن الجديد، والتماساً لجوهر الحب(؟) وربما تكون هذه الثائرة على الفضيلة الزائفة (؟!!) قد بالغت في ثورتها فأصبحت خاطئة بالفعل، لا يشفع لها أنها كانت تحارب خَطَأةً أكثر منها تورطاً[1].

١- رغم الجريمة التي يقع فيها من يعمم الحكم بالفساد على مجتمع بكامله، وعلى افتراض أن كل الناس خطاة مستورون، فإن الاستتار بذاته علامة على الإحساس بالخطأ أو الذنب أو الإساءة بينما التعالن كثيراً ما يدل على التحدي وعلى الاستباحة، وهذا بذاته من أوسع أبواب الكفر في منطق الإسلام.. لكن القوم يدسون السم في العسل، ويمارسون جريمة الخيانة الفكرية لشعوبهم في وضح النهار.

وفي **الوطن في العينين** تقول السورية **حميدة نعنع** عن بطلتها نادية:

ترحل نادية وهي تهنئ نفسها: **فشلوا أخيراً في أن يجعلوا مني آلة تفريخ، لم تكن نادية ترى نفسها زوجة ولا أماً**.

وترسم **نعنع** في الرواية سورة للمرأة الثائرة الرافضة للأنوثة والزواج، المتسكعة هنا وهناك، الثورية التي تدهش الرجال في معسكر التدريب ببسالتها وتجعل الوطن قضيتها الأولى قبل الحبل والولادة.

ويمدح السوري **نبيل سليمان إيناس العلمانية العاقلة** التي لم تغمز قط بيدٍ، ولم تسقط أسيرة لكلمةٍ مزوقة، وجعلت همّها الأول في الشغل والجامعة.

ويقسم النساء في **قصته لأربعة أصناف**، كلها تافهة أو ساقطة إلا واحدة هي إيناس العلمانية: **فإحداهن** شريفة وذكية ـ هي إيناس.

وثانية ضائعة تائهة يسهل افتراسها هي سكنة.

وثالثة فاجرة وقحة ـ هي الأمريكية فيرا بائعة الهوى.

ورابعة داعرة مع الإصرار المزمن هي القوادة أم المنى.

ومن لبنان يعلو صوت **توفيق يوسف عواد** قرب نهاية قصته **طواحين الهواء** مرسلاً عبر صوت تميمة ـ بطلة القصة ـ رسالة أخيرة إلى صديقها وحبيبها قائلة:

سأحارب تحت كل سماء، ضد كل الشرائع والتقاليد التي ارتضاها المجتمع، لأنه باسمها أنكر عليّ حق الحياة تحت سماء بلادي.

كانت تحب الشعر والحرية، ولكنها تتوق أيضاً إلى السلطان.

حينما قالت: إنها كانت تريد مكانها في الحياة قبل مكانها في المجتمع، كانت تعبر عن رغبتها في أن يحصل الفرد فيها على حقوقه - مشروعة أو مدعاة - وكان ضمن هذه الحقوق - فيما يبدو - أن **يتعدد عشاقها**، **وأن تهدف إلى الزواج من مسيحي وهي مسلمة**[1].

تثور تميمة على الظلم الواقع على النساء، في مجتمع يعيش السلوك بمقياسين مختلفين: الحرية الجنسية للذكور. والقهر واللعن والسكين لإناث (؟!!).

وهي طوال الأحداث عشيقة فعلية لرمزي الفوضوي الذي يركب الحرية إلى الإباحية، وهو القائل:

ليس في الكون حلال ولا حرام، ليس في ناموس الطبيعة: - سمائها وأرضها، كواكبها وحشراتها، أزهارها وأشواكها، عواطفها وأنسامها - تحليل ولا تحريم[2].

الحب الخالص من بشاعات الشرائع والتقاليد هو - وحده - المقدس، وقدسيته الوحيدة هي الحرية.

هذا عشيقها الفعلي، وأما حبيبها هاني الذي تهيم به فيقول:

مغروز فيّ الشك يا تميمة - هل الله في النتيجة إلا رمز القيم، بل مجموعة القيم

١- وهي دعوة كررتها إملي نصر الله في طيور أيلول، ونادى بها كثير من المستنيرين.

٢- هل يلام سلمان رشدي وحده؟!.

التي تجعل من الإنسان مخلوقاً يستحق
هذا الاسم، أتكلم عن الله الحقيقي، لا إله
الطوائف والملل (؟!)

ويعلق د. الراعي على هذا الكفر البواح الذي تنضح به طواحين بيروت قائلاً:

إنها محاولة مستبسلة للوصول إلى مصالحات مستحيلة بين الأديان والمواقف السياسية والحرية الفردية والحرية الاجتماعية[1].

إنها تسبح ضد تيار عارم من كل ما يناقض هذا، فالواقع الذي تجابهه أقوى بكثير من الرسالة التي تدعو إليها الرواية.

لا جرم أن يقتل مؤلفها نفسه في خضم العنف الدموي الشرير الذي كانت روايته تنبه إليه، وأن يكون استشهاده (؟!!!) هذا أبلغ تعليق على مدى سوء الأحوال في لبنان وفي أماكن كثيرة من أرض العرب.

وعن الاستباحة، وإقامة علاقة بين شخصين مختلفي المذهب (الدين) سجلت رواية اللبنانية **إملي نصر الله - طيور أيلول** - علاقة الحب بين نجلا وكمال اللذين وقف بينهما:

حاجز غبي مجانب للمنطق، ومجموعة من الأفكار
المتحجرة من بقايا الأجيال الماضية، وآثار حوافر
خيول غريبة داست أرض القرية، سموم رياح
هبت عبر السنين، وعششت في رئات السكان.

وحكاية الزواج بين مختلفي الدين - وبالذات بين مسلمة وكافر - من

١- عندنا أن الحرية كل الحرية - اجتماعية وفردية وغيرها - في التصالح مع الإسلام الحق لا في الكفر بالله تعالى تحت أي شعار أو مبرر.

هواجس أولئكم، ومن الأمور التي يركزون عليها تركيزاً شديداً، وبدهي أنهم لا يفكرون في حلال أو حرام، ولا دين ولا قيم، ويعتبر **عبدالهادي عباس** الصحوة الإسلامية ردة رجعية (؟!) تشدّد في إبقاء الحواجز التي تخدم - كما يزعم - بالدرجة الأولى رجال الدين وبعض السياسيين والمصالح الغربية.

هذا مع العلم بأن تركيا من أول الدول التي استباحت هذا الشر، فقد صدر القانون التركي العلماني يصحح الزاج بين مختلفي الدين، رغم اعترافه بأن دين الدلة الرسمي هو الإسلام حتى عام ١٩٢٤، ثم ألغي النص على أن الإسلام دين الدولة عام ١٩٢٨[(١)].

وفي الرهينة يبين لنا **زيد مطيع دماج** - من اليمن - ثورية امرأة من الأسرة اليمنية الحاكمة كانت متمردة تلقي بنفسها في **أحضان الرجال**، وتخايلهم، تحكم قبضتها حولهم **لتنتصب رقيّة رائعة مقنعة** (؟!) تجمع بين حدة الجمال وحدة الذكاء، وتعلو كثيراً على باقي نساء القصر.

إن لها رأياً في الحياء، وإرادة قوية، وقوة على الدفاع عن رأيها، جعلتها تتخلص من زوجها الذي غصبوها عليه، وترفضه من أول ليلة.

ومن ليبيا يكتب **أحمد إبراهيم الفقيه** قصته: **سأهبك مدينة أخرى**، عن نموذجين للمرأة يتعرف إليهما خليل الذي **كان جده قاتلاً وقاطع طرق**.

وسلك طريق الدرس **العلماني**، رغم أن روحه مصابة بجرح غائر، وفي داخله استوت صورة مشنقة سماها خليل: **مشنقة الأسلاف**.

أول **النموذجين** من النساء كان المرأة الجسد، الوافرة العطاء، التي تتبع نداء الطبيعة وتلبيه، ولا تخرج أبداً عن طاعته، وهو المتمثل في ليندا

١- عبدالهادي عباس ١٢٣٢، ١٢٩٧.

التي رضي زوجها أن تقوم بينها وبين خليل علاقة جنسية، لأن هذا الزوج لم يكن رجل فراش.

والنموذج الثاني هو ساندرا المرأة المتحررة من كل رباط، التي تطاوع النداء الأعمق الذي يأتي من داخلها، ويحملها على **رفض المواضعات، والثورة على الأعراف والقيود التي صنعها البشر، ليسجنوا داخلها قلوبهم، وعقولهم، وأرواحهم.**

ويتكرر النموذجان **مرة ثانية** في قصتيه: **هذه تخوم مملكتي، ونفق تضيئة امرأة واحدة.**

وفي روايته: **عائشة**، كتب التونسي **بشير بن سلامة** عن مجموعة كبيرة من النساء، كلهن ـ بلا استثناء ـ مارسن الدعارة أو عشقن غير أزواجهن: زبيدة، وعلجية، وربح، وزوجة البستاني، ودوجة، وحليمة، وسكيلة، وعائشة، وغيرهن كلهن ذوات علاقات برجال، رغم كونهن زوجات أو خدينات (؟!) وتقول الرواية في صفحة الغلاف الأخيرة: إن عائشة تترجم في مأساتها عن منزلة المرأة في مجتمع متقلب مهزوم، أضاع أفراده فيه كل توازن.

المرأة ـ في الرواية ـ قادرة وراغبة في أن ترضي نزوات الرجل ونزواتها، **وتتقلب ـ في حرية غريبة ـ بين الحياة الجنسية المشروعة والآثمة،** لا تبالي أن تدس ولداً غير شرعي على أسرة شرعية، ولا تحفل ـ إذا ما غزاها أحد ـ أن تستسلم المرة بعد المرة، ثم تعود إلى الفراش المشروع مرة أخرى، دون كبير تردد أو عناء.

والواقع ـ يقول الراعي ـ **أننا لا نستطيع أن نبرئ المؤلف من تهمة الغرض المزدوج فهو يتعامل مع الجنس تعاملاً اجتماعياً، ويريد أن يرد الشذوذ فيه إلى عوامل بيئية بعينها.**

وهو في الوقت ذاته يعمل ـ بوضوح ـ على أن يمتنع قارئه[1] بوصف اللقاءات الجنسية (؟!) وصفاً مثيراً: ولا يتردد لحظة في إيراد تفاصيل دقيقة عن لقاءات شاذة مثل تلك التي تتم بين عادل وربح، أو تلك الممارسات التي يقوم بها عادل بمرأىً من الفتاة الغضة علجية.

وفي **المرأة والوردة** ـ للمغربي **محمد زفزاف** ـ يقتنع بطل الرواية أن الدار البيضاء تسيّرها قلة من المغامرين والقوادين وبائعي نسائهم، ويعيش حياة منفلتة انحرافية يزعم أنها أفضل من **أخلاق المنافقين**: الذين يودون لو فعلوا ما يفعل ولكنهم لا يستطيعون (؟!).

منافقون متورطون في الإثم، يشددون على نسائهم، فتصرف هؤلاء هممهن إلى علاقات مع الحلاق أو معلم الفرن أو بائع الحليب.

وإزاء هذا الفهم المبدئي يعيش البطل حياة الدعارة والمخدرات والتهريب والجريمة حتى رأسه، وينصح أخته أن تفعل ما تشاء كما يفعل هو ما يريد (؟!).

يقول د. الراعي:

ليس من المبالغة أن نقول إن هذه الرواية منقوعة في الجنس، وإن هذا الجنس يستخدم استخدامات متفاوتة:

(إن وراءه رغبة في إدانة المجتمع الذي يجمع أخلاطاً من الناس بين عاهرات وعاهرين وقوادين ولصوص وعجائز أوربيات وأمريكيات يسعين وراء اللذة).

١- تعبير مؤدب والتفاتي حول معنى القوادة الفكرية.. أم ماذا نسميها؟

فهل يمكن أن تكون هذه الشرائح ممثلة لأي مجتمع دينه الإسلام على ظهر الأرض؟ أم إنها رؤية فاسدة من فكر فاسد منقوع ـ كما قال الراعي ـ في الجنس والرذيلة؟

يقول الدكتور: غير أن رغبة أخرى تكمن وراء الانشغال بالجنس، كأنما الكاتب يقول: لتنزل كل السراويل والملابس الداخلية، لا شيء ينبغي أن يمنع لننظر إلى جسم الإنسان دون أن تطرف لنا عين[١].

ويأتي بعد هذا **بيع الجنس للقارئ**، للتمتع بوليمة الجنس في طول الرواية وعرضها، فالكاتب يعلي من شأن الجنس، ويراه أصلاً وجوهراً للعواطف.

هي إذن تجارة تجلب المال، وتنظير يدعم أفكاراً إباحية أيديولوجية تحول المجتمع العربي المسلم إلى ماخور كبير.

وفي بيت **العنكبوت** للتونسي: **محمد الهادي بن صالح** يتزوج صالح من امرأته الوقاح التي تلطمه وتهينه حين يجدها غير عذراء، وكان صالح هذا في ذاته مهيناً، وله شوق شبق إلى النساء، كان يحبهن ويلعنهن..

يراهن عواهر خائنات مومسات

تتحول امرأة صالح إلى امرأة تجوب الأزقة تبيع اللذة لمن يشتريها، وابنته تصير بنت هوىً، لو طلب القرد منها وصالاً لما ردت له طلباً.

إنه يرى النساء كلهن مومسات:

فأي نساء هذا المجتمع المنافق يمكن أن تعدّ شريفة؟!

١ـ بالضبط.. هذا ما رمىٰ إليه الصهاينة في البروتكولات: ان يخلفوا جيلاً لا يخجل من النظر إلى عورته او عورة غيره، فلعن الله المستبيحين.

وفي **عرس بغل** يحكي **الطاهر وطار** عن فتىً شيخ يذهب إلى مبغىً لينصح البغايا بالتوبة لكنه يقع فريسة بغي متمرسة، ويخرج من غرفتها قد نسي طربوشه وجبّته وشيخ التجويد، ليصبح عاشقاً لغادة جميلة في ماخور، يتحول بعد ذلك إلى صوفي يقضي أيامه في خلوته، يدخن الحشيش ويتأمل بعض أيامه، وبعضها ـ من الاثنين إلى الجمعة من كل أسبوع ـ يدير الماخور بنفسه، بعد أن لم يعد يرى تناقضاً بين طقوس الخلوة وبين الإشراف على بنتات الماخور؟![1].

إن عرس بغل ـ يقول الراعي ـ تقول في صراحة:

إن البشر ما داموا على ما هم عليه من حال فلا مفرّ أن تتحول الدنيا إلى ماخور كبير، الكل فيه مدان، والكل فيه بريء.

ولقد ظلت المرأة عند **إحسان عبدالقدوس** أسيرة الصراع الفردي، من أجل إعلاء قيمة الحرية الفردية المطلقة، ويتمثل ذلك بشكل كامل في روايتيه: **الطريق المسدود** وأنا حرة.

ففايزة ـ في **الطريق المسدود** ـ كانت رافضة عاجزة عن الفعل؛ لتبعيتها الاقتصادية لمن أدانتهم، وكانت أمها وأختاها تستقبلن الرجال الذين يحضرون كل ليلة ليسهروا عندهن بالشقة الفاخرة.

وكانت هي تقرأ للكاتب منير حلمي الساقط زئر النساء الذي إتهمها بأنها **معقدة، لأنها لا تريد أن تعطيه نفسها**. وحين عملت في إحدى القرى

١- قذف المجتمع كله ـ بلا استثناء ـ حتى علماء الدين والحرائر في البيوت الغافلات عن الفاحشة.. ألا يستحق موقفاً قانونياً وشرعياً؟!
ونشر ذلك وترويجه تحت مسمى الإبداع.. ألا يستحق موقفاً قانونياً وشرعياً؟!
والتسوية بين الدين والقوادة والبغاء.. ألا يستحق موقفاً قانونياً وشرعياً؟!

غارت منها النساء لجمالها الشديد، وتصدم في حبيبها أحمد الذي عرفته بالقرية، لتقول إن الفساد بالقرية والمدنية واحد، وإن الرجال جميعاً أنذال، فتقرر بعد ذلك أن تكون مثل أختيها فوقية وخديجة.

وفي **أنا حرة** تقرر أمينة بطلة الرواية أن تنزع الحرية التي تنشدها فتصادق زميلها بالجامعة الأمريكية ـ هرباً من العقلية المصرية ـ وتخرج معه، وترتبط ببعض الفتيان تلهو معهم، وتراقصهم، لتتحرر من قيود البيت، وقيود التقاليد، وحاجتها للآخرين.. وتقول:

جوزي طول ما بيصرف عليّ يقدر يذلني، ويفرض عليّ إرادته، ويعمل فيّ اللي هو عايزه.

وتتحول بعد ذلك إلى الكفاح ضد الإنجليز مع عباس الذي أفهمها أن الحرية المجردة ليست حرية.

أنا حرة تعبير عن أزمة الفتاة البرجوازية في وسط انهارت فيه القيم (؟) ولم يعد هناك ما يربطها بالأخلاق والمثل والمجتمع الذي تعيش فيه، وقد مضت وحدها تبحث عن حريتها، لا لتحقق هدفاً، وإنما لتحقق مطالب الجسد.

ويحرك الكاتب أحداث الرواية، من خلال حركة البطلة، مع الإفاضة في سرد هواجسها العاطفية.

وتكاد أزمة الجنس أن تكون هي المحرك الأول لعنادها وتمردها،بل لشذوذها في كثير من المواقف الاجتماعية التي تمر بها مثل مصادفتها للفتاة اليهودية، وعطفها على أبيها الذي لا يقل عنها شذوذاً.

عند صدور الرواية لمسنا مدى الزيف في رؤية الكاتب للواقع، حيث

تجاهل كل نماذج الفتاة الصاعدة.. وحصر نفسه في إطار نموذج لم يعد له إطار في المجتمع (الحمد لله، هو الذي قال) لا ليعري سلبياته، وإنما ليمجد هواجسه وشبقه إلى الجنس.

وتطالعنا أمينة بصورة شائهة للفتاة التي لا تؤمن بالله ولا بالمبادئ السياسية أو الاجتماعية، وتعود بنا إلى نموذج المعبد في المجتمعات القديمة الذي يفنىٰ فيه العبد من أجل المعبود المقدس. ومن هنا:

تنعدم القيم الأخلاقية عندها، ويكون الجنس هو محور أزمة الفتاة التي كفرت بكل شيء، وآمنت بالرجل، لا كإنسان، وإنما كمعبود للجسد.

وأما **يوسف إدريس** فيقدم عزيزة **بطلة الحرام** نموذجاً للفلاحة الفقيرة التي يمرض زوجها، ويعجز عن العمل، فيعيشان حياة صعبة، وتسقط عزيزة مع محمد بن قمرين، ولا تستطيع مقاومة رغباتها، وتحبل، وينتفخ بطنها، وتحاول إخفاء الانتفاخ، لكن عبثاً، وتضع مولودها بين عمال التراحيل، وتخنقه خوف الفضيحة، وتموت بعد ذلك بحمى النفاس.

وفي **النداهة** ـ كذلك ـ تسقط فتحية التي انتقلت من القرية إلى المدينة بدافع خفي، ونداء نحو **التحضر** (؟!) والخروج من القرية المتخلفة، وتقع بين براثن جارها الذي ينال غرضه بسهولة تامة، بعد أن رأى فيها رغبة جامحة.

وحين يسعى زوجها للعودة بها إلى القرية ـ بعد هذا السقوط ـ **تقرر البقاء بالمدينة، وألا تضيع تجربتها ـ المتحضرة ـ التي وصلت إليها** (؟!).

ويواصل يوسف إدريس عرض فكرته عن المرأة والحب، من خلال **شخصيات غير شريفة**:

ففي حادثة شرف تفقد فاطمة براءتها، لكنها تكسب ذاتها(؟ !) .

وفي قصه هي من مجموعة بيت من لحم يعرض إدريس لثائية المرأة الجميلة التي تتحول إلى حيوان بغيض، حيث تمارس مجموعة من نساء أسرة واحدة إشباع غرائزهن بالبغاء مع المحارم، وعلى رأسهن الأم التي تغمض عينيها عما تمارسه الفتيات ـ لحمها ودمها ـ من استمتاع بالحياة (؟!) .

خلاصة ما نخرج به من هذه القراءة المكثفة في نقاط من خلال عبارات الروائيين أنفسهم :

١- إزاحة الأعراف كلها والثورة عليها .

٢- الإغراق في الزنا (في كل النماذج) وتبريره بمبررات بلهاء .

٣- اتهام المجتمع بكل شرائحه باللا أخلاقية والسقوط والنفاق .

٤- الثورة على الوضع البيولوجي للمرأة ، ورفض الأمومة والأنوثة .

٥- رفض مفاهيم الحلال والحرام ، والاستباحة الفوضوية .

٦- سب الدين واعتباره مجموعة من الأفكار المتحجرة .

٧- الشك في الله عز وجل ، والكلام عن إله آخر غير «إله الطوائف» .

٨- تبرير العلاقة بين مسلمة وكافر .

٩- الدعوة للعلمنة ، وإعلاؤها ، وتسفيه غيرها .

١٠- الإفراط في الشذوذ بجانب الإغراق في وصف الجنس .

١١- تزييف الواقع ، ومحاولة رسم صور مغرضة غير صحيّة وغير صحيحة .

١٢- قضية العفة تتحكم فيها المصالح التجارية والاجتماعية للأسرة (ماركسية) .

١٣- فراش العفة والفضيلة قنّ دجاج يقيد حرية المرأة .

١٤- المومس شريفة لصدقها مع نفسها ، والأخريات وسخات .

١٥- البغاء حرية فرية من حق المرأة أن تستمتع بها .

ثانياً:

تبرير الفاحشة وتزيينها

وهذا المحور واضح، ويقوم ليس على مجرد الاستحسان، بل على الاستباحة ومحاولة عقلنتها، وإبداء أسباب منطقية لذلك.

فنجيب محفوظ - في **خان الخليلي** - يعكس رأي أحمد عاكف وثقافته التقليدية المستمدة من الغزالي وإخوان الصفا والمنفلوطي وشوقي.. ليخرج من ذلك بأن:

المرأة الحقيقية هي البغي.. فهي المرأة الحقيقية وقد جلت عن وجهها قناع الرياء، فلم تعد تشعر بضرورة ادعاء الحب والوفاء والطهر.

وها هو **بهاء طاهر** في: **قالت ضحى**، يبرر تشفّي ضحى من الرجال بأنها مرت بكثير العناء والإهمال، فنما في صدرها كره خاص للرجال، واستبدت بها رغبة أن تتشفى منهم في كل مرة يسقطون أمامها أو في قبضتها، بل طمحت أن تكون فاوست امرأة تجري وراء المسرات الخارقة، وتسمع الأنغام المحرمة، وتحصل على المعرفة المحظورة.

ويرسم الأردني **غالب هلسا** في **سلطانة** صورة المطلقة الشامخة التي تبذل جسدها لمن تنجذب إليهم وحدهم، وتعامل بالقسوة والازدراء من يقترب منها، حتى ولو برضاها.

ولأنها لا تكترث لقونين المجتمع كانت أكثر حرية وجرأة من باقي النساء، فضاجعت عدداً من الرجال، منهم صليبا ومسعد وبشارة وهزيم وغيرهم.

يقول: وحين أزمعت أن تتزوج بشارة قال لها صلبياً: أهو فراق أذن؟ دهشت سلطانة، قالت إنها بعد الزواج سوف توالي زيارته..

سألها: لم؟

قالت: تسأل لم أزورك؟ لأتمتع معك..

هذه هي المرأة ذات الجمال والشموخ والبذل التي أحس جريس أنها قد اختزلت كل النساء جميعاً في واحدة.

وأما **إلياس الخوري** ـ من لبنان ـ **فيبرر عمل المومسات، ويحاول تطهير أعراضهن في قصته: رحلة غاندي الصغير**، فيحدثنا عن **أليس** التي اغتصبها أبوها السكير في طفولتها، واعتدى عليها رجل آخر، ثم التقطها صديق لوالدها وخادنها ثلاث سنين، فلا هو تزوجها ولا هي اهتمت، ثم تعرفت إلى أبي جميل الذي ضمها إلى الفتيات اللاتي يتاجر بأجسادهن.

وأليس تستمتع كثيراً بعملها، وتتعرف من خلاله على مباهج الحياة (!!) أن تشرب وترقص وتعيش، تعلمت الحب في ظل رعاية القواد أبي جميل لها، والذي كان يعاملها وسائر المومسات عنده كأنهن بناته (؟!!) **كان يعيش بشكل محافظ، وكانت امرأته محجبة** (!!).

وتنأى مومس رحلة **غاندي الصغير** بنفسها عن المومس التقليدية،

فهي تحترف عملاً إن لم يكن مشروعاً فهو مطلوب، وهذا لا يعني الانكسار، ولا يجلب معه الحقد على الناس والمجتمع (؟!).

وأما **لطيفة الزيات** ـ في: الشيخوخة ـ فتقول على لسان امرأة ضبطتها صاحبة لها في وضع إباحي:

تفهمي إيه في الدنيا؟ تفهمي إيه اللي تقاسيه الست لما تعيش مع راجل بتكرهه؟

علموك دي في الكتب؟ فهّموك دي؟ تعرفي إيه.

ولو أخذنا مجموعة روايات لأديب **كنجيب محفوظ** ـ على تمكنه وقدرته وإبداعه ـ لوجدناه يبث في أثناء رواياته أفكاراً كثيرة يهمني ـ في هذه العجالة ـ منها الكلام الكثير عن الفاحشة العادية والشاذة، ويبرر هذه الفواحش بمبررات لا تخرج كثيراً عما أشرنا إليه فيما سبق:

ففي **القاهرة الجديدة** يسوق رأيه على لسان علي طه المؤمن بالمبادئ الاشتراكية، فالمرأة ينبغي أن يكون لها المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات.

وفيها يتحدث عن إحسان شحاته الفقيرة الساقطة التي كانت زوجة وعشيقة في آن واحد **برضاء كل من زوجها وأسرتها** (؟!).

ويصور دياثة رجل يخلي بيته لوزير (ينام مع زوجته).

ويضاجع محجوب جامعة أعقاب سجائر تروي شبقه، وهذه المرأة نفسها تمارس الجنس مع بواب نوبي.

وفي **زقاق المدق** يدير إبراهيم فرج مدرسة للدعارة، ويجتذب إليها حميدة بطلة الرواية.

وفي **بداية ونهاية** تصور نفيسة (شهيدة) مجتمع حوّلها إلى عاهرة لتساهم في إكمال نفقات الأسرة، ولتمد أخاها بمصروفه الذي يرفّه به عن نفسه.

وداثماً تلقانا صورة البغي في روايات نجيب محفوظ مغلفة بإطار إنساني نبيل ليؤكد أن الظروف الاجتماعية ـ مهما تعقدت ـ لا تجتث كل ما هو إنساني في الإنسان وإنه لضرورات العيش الصعبة قد يأثم الجسد، لكن تظل الروح محتفظة بجوهرها.

وفي **خان الخليلي** يقدم عليات الفائرة معشوقة للأزواج، وقد تزوجت زواجاً صورياً؛ زواج مهنة وارتزاق.

وفي الثلاثية الكثير من الجنس واللهو، ورسم لصورة خاصة بالمرأة لافتة للنظر، ففي **السكرية** يشير إلى أن الزواج أمر مادي يقوم على المساومة والدهاء والفوائد والخسائر.

ويقدم المرأة الشعبية غالباً ممثلة في جماعة البغايا والعوالم المتاجرات بالجسد، وإن استتر هذا أحياناً تحت اسم الفن رقصاً أوغناء.

وإذا كانت الطبقات الفقيرة قد مارست البغاء احترافاً ومهنة ـ بسبب الضغوط الاقتصادية ـ فإن هناك نساء أخريات قد مارسن البغاء لا بسبب الحاجة، وإنما بسبب الشذوذ، وعدم التمسك بالمبادئ والقيم، مثل هنية أم ياسين التي أفسدها كونها مطلقة وعلى قدر من الثراء، وتشاركها نفس الطبيعة الشاذة والأخلاق المنحطة أم مريم التي أغواها مرض زوجها المزمن فجعلت تنتقل بين الرجال، وقد ورثت ابنتها مريم عنها نفس الشذوذ حين بدأت حياتها في دنيا اللذة بالرضا عن معايشة الجنود الإنجليز حين قدموا إلى بين القصرين، وتستمر في عبثها إلى أن تصبح صاحبة بار في السكرية.

ويعطي نجيب محفوظ البغايا أسماء متفائلة مثل وردة وعطية وكريمة وجليلة وزبيدة.

وحين أراد **محفوظ** أن يقدم نماذج المرأة الجديدة المتحررة قدم سوسن حماد في السكرية وهي تناقش خاطباً لها، وتطلب منه أن يتخلص من كل رواسب البرجوازية فيه، وأنها سوف تطالب بقاموس جديد عند الكشف عن الكلمات المأثورة مثل: زواج، غيرة، الماضي.

وحين يسأل زوجها بعد الزواج بها: **وهل تزوجت على سنة الله ورسوله؟ ضحك وقال:**

طبعاً الزواج والدفن على سنن ديننا القديم (!!)
أما الحياة فعلى دين ماركس.

كما ترى زوجتا أحمد وعبدالمنعم أن الذرية والنسل موضة قديمة.

وفي **البحر ينشر ألواحه** يصور **محمد صالح الجابري** - تونس - الحياة في ماخور ويكشف الجانب الخفي في حياة بعض نساء الحي اللائي (لهن دائماً ما يخفينه عن الزوج) ثم يقول على لسان إحدى العجائز في خطابها لمدرس يحتاط لنفسه:

المرأة كقلب الخس، ريان على الدوام.. ثم رجته العجوز أن يستقبل صبيحة التي ستزف بعد ثلاثة أيام، ورجته ألا يرد لها طلباً، وكان طلبها المدرس نفسه، فأعطته جسدها سخياً، ثم سألته إن كان سيحضر عرسها يوم الجمعة.

وفي **دهاليز الجنس القديم** - للمغربي **حمداني حميد** - يتحول بطل الرواية إلى قواد في ماخور، والبطلة المناضلة (البتول) إلى واحدة من عاهرات الرواية وكذا الفتاة المغدور بها - غيته - التي وهبت نفسها لرجل معين ثم غدر بها فلم يتزوجها!؟ والفتاة البدوية غنيمة التي تطعم جسدها للزوار بالموافقة التامة من أبويها.

والناس في الرواية جميعاً أشرار، رغم مظاهرهم الطيبة، ورغم ثيابهم البيض والمسابح التي في أيديهم، يخرجون من الجوامع بعد العشاء تحيطهم هالة من المهابة والوقار، وبعضهم ينسل إلى بيوت واطئة يشربون

ويزنون، والعجوز صاحبة الماخور ـ رغم كونها فاسقة سكيرة ـ تنوي أن تحج، في حين يغرر بطل الرواية بالبتول ويضاجع أمها.

المشكلة أن مثل هذه الأفكار لم تعد ـ في كثير من الأحيان ـ حبيسة صفحات هذه الروايات بل صارت تخرج إلينا عبر الإذاعة والتلفزيون والسينما مع كثير من التوابل والبهارات التي تغير العقول وتعبث بالقلوب.

وإن كثيراً من روايات نجيب **محفوظ وعبدالقدوس ويوسف إدريس والقعيد والغيطاني وغيرهم** ـ من التي سبقت الإشارة إليها ـ عرضت سينمائياً وإذاعياً وتلفزيونياً، بما تحوي من خلاعة ومناظر خارجة مسيئة.

فقد صورت لقطات مباشرة وواضحة للشذوذ والفاحشة بين كثير من الممثلين والممثلات في: أريد حلاً، وحمام الملاطيلي، والإرهاب والكباب، وحبيبي دائماً، وجنون الشباب، والثلاثية، وغيرها.

كما تم إجازة أفلام ممنوعة مثل درب الهوى وخمسة باب الذي وصفته مجلة آخر ساعة (٣٠/٣/٩٤) بأنه من هذه الأفلام التي تعكس حياة الغانيات **المليئة بالجنس والإغراء المقصود، وتسيء إلى تاريخنا**، لأنها مسمومة ومليئة بالجنس، تدور أحداثها في أماكن ممارسة البغاء، والبطلة تمتهن الدعارة بشكل رسمي، والرجل المخنث الذي يضع الأصباغ، ويرتدي ملابس النساء، ويتلوى بطريقة مقززة، **في محاولة للدفاع عن الساقطات بلغة سوقية، وحوار مبتذل، وألفاظ ممجوجة**، على لسان الغواني والقوادين، تعبيراً عن موجة تظهر بائعات الهوى في مظهر القديسات[1].

ولا تعليق بعد تعليق آخر ساعة.

١ـ الكنيسة والانحراف الجنسي: ص ١٠.

ويمكن أن نستخلص من ذلك كله ما يلي:

١- استخدام قضية الحاجة الاقتصادية للمرأة مبرراً للفاحشة.

٢- الحرية سبب كافٍ للبغاء.

٣- الشر العام في المجتمع مبرر للبغاء.

٤- الحاجة النسائية ملحّة ودائمة للارتواء البدني والاستمتاع بمباهج الحياة.

٥- القواد ليس شريراً دائماً وكذا البغي.

٦- اعتزاز المرأة بنفسها وشموخها الشخصي (؟!).

كلها مبررات سبقت، وقد أشبعونا في السينما والتلفزيون في الماضي حديثاً ـ ولا يزالون ـ عن الساقطة الفاضلة ـ على طريقة **غادة الكاميليا** ـ والبنت التي احترفت البغاء لتطعم نفسها.. فالخيط بدأ من وقت بعيد.. ويبدو أنه لا نهاية له قريبة حتى يصير المجتمع كله لا قدر الله مجموعة من «**البغايا الشريفات**».

* * *

ثالثاً:

القهر والإحباط والتخلف

وهذا عنصر آخر موجود في الأعمال الروائية.

فهذا **سليمان فياض** - مصر - في: **أصوات**، يصور الغرب الظريف الخفيف الرشيق آتياً إلى الشرق، فيكون رد فعل الشرق أن يكبته ويقمعه ويقضي عليه (؟!) من خلال الشاب الذي تزوج سيمون الفرنسية التي تلبس الشورت، وتعري نصف ظهرها وصدرها، وشعر إبطها غير المنتوف، فتغار منها النساء - من جمالها وذكائها وانطلاقها - ويقررن نتف شعر إبطيها، وإجراء عملية ختان لها، فتنزف حتى الموت.

وفي روايتها مسك الغزال كتبت اللبنانية **حنان الشيخ** عن سها، الفتاة الشاذة التي تمارس الجنس مع النساء والرجال!؟ والتي ذهبت إلى بلد صحراوي، وعاشت فيه تشتكي الضجر والخلاء المعذب الذي يسود الحياة في هذا البلد.

وعلى كل فإن قضايا العشق والحب والمواقعة كثيرة في الرواية المعاصرة، وتكاد تكون قاسماً مشتركاً، تحت مبررات الصداقة أو الشبق الجسدي أو البغاء أو الاستباحة أو التمرد.. إلخ.

اقرأ مثلاً: فساد الأمكنة لصبري موسى، والعتقاء للويس عوض، وثلاثية محفوظ، والطوق والإسورة ليحيى الطاهر عبدالله، ودوائر عدم الإمكان لمجيد طوبيا، ووقائع حارة الزعفراني للغيطاني وحمام الملاطيلي لإسماعيل ولي الدين وغيرها.. وغيرها.. وغيرها.

الفصل الرابع

إضاءة للإعذار:

ماذا نريد نحن من المرأة؟

الفصل الرابع

إضـــاة للإعـــذار:

ماذا نريد نحن من المرأة؟

لا بد أن يثور سؤال مُنْبنٍ على ما مرّ ذكره: إذا كان القوم على هذه الشاكلة الساقطة.. **فلا بد أن هناك صورة أرقى وأطهر وأنقى، فما تركيبة هذه الصورة؟ وماذا نريد نحن من المرأة**، خصوصاً وأن هناك سيولاً من الاتهامات للإسلام قد مرّ بنا بعضها:

- هل هي جارية مقموعة مستعبدة كما يزعمون؟
- هل تقسر على ما لا تريد بمناسبة وغير مناسبة؟
- هل من حقها - في شرعنا وعرفنا - أن تملك نفسها وحريتها الجنسية الكاملة؟
- هل لها حقوق مالية وسياسية واجتماعية؟
- هل الولادة والحمل والأمومة نوع نقص فيها، أوحيلة رجالية؟
- هل جنس الرجال أعلى من جنس النساء، أو العكس؟
- هل تحس المسلمة - بشكل عامٌ - حتى مع الممارسات المغلوطة والمخالفة للشرع - بأن الأوربية خير منها؟

أسئلة كثيرة تساهم الإجابة عنها في توضيح جوانب **الصورة المثلى** - في رأينا - **التي رسمها الإسلام في كل مراحل حياتها**.

وسأحاول استجلاء ملامح الصورة كاملة - بتفاصيلها الدقيقة - من خلال النص القرآني، والنص النبوي الصحيح فقط.

وأزعم أن من قرأ هذه الصورة بتجرد وعقل محايد فلسوف يحس بالفارق الهائل بين الوهدة التي ترتكس فيها الأوربية، والقمة السامقة التي تسبح في آفاقها كل مسلمة، إذا هي التزمت أحكام شرع ربها، وترسمت خطا النساء المباركات اللواتي ندر أن يكون في التاريخ البشري كله مثيلات لهن، بل أزعم أن أفضل مجموع نسائي ظهر في التاريخ البشري كله ـ منذ حواء أمنا عليها السلام، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ـ هو الجيل النسائي الذي ظهر مع بعثة محمد ﷺ ثم ما تلاه من أجيال، والذي ضم أمهات المؤمنين والصحابيات، والفقيهات التابعيات من الأجيال الفاضلة.

أولئك أمّاتي.. وأولاء أقمار الإسلام لمن أرادت الاستهداء والاقتداء، وأولاء اللاتي ذكرن مع الصحابة ـ كأفضل جيل مرتضى عند الله تعالى وعند عباد الله المنصفين ـ فليجئ المكابرون بأمثالهن ولن يستطيعوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

* * *

صورة المرأة في الإسلام
بغير رتوش

○ المساواة التامة في الأصل الإنساني:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

○ المساواة التامة في التكريم:

- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]
- «**إنما النساء شقائق الرجال**» أبو داود والترمذي وأحمد.

○ المساواة التامة في أصول التكاليف الشرعية:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]

الإسلام: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت وتصوم رمضان».

الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، والقدر».

الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» حديث جبريل ـ مسلم.

□ الأوامر الشرعية بافعل ولا تفعل: مثل:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣,٨٣,١١٠] وغيرها.

﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ.. ﴾ [النساء: ٤٣].

○ المساواة التامة في المؤاخذة بعد التكليف:

﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]

﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]

○ المساواة التامة في الاستعداد للحساب:

﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥]

«ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ـ عز وجل ـ ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بشق تمرة» متفق عليه.

«يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة رضي الله عنها:

يا رسول الله: الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟

قال: **«يا عائشة: الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»** متفق عليه.

○ المساواة التامة في الأجر الأخروي:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ [النساء: ١٢٤]

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

○ المساواة التامة في الموالاة والتناصر:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]

○ الأنوثة خصيصة شريفة في نظر الإسلام:

«**إنما النساء شقائق الرجال**» أبو داود والترمذي وأحمد.

﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨]

«**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**» البخاري وغيره.

○ المرأة الصالحة نعمة:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]

«الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» مسلم.

○ المرأة فتنة وشر ـ وكذا الرجل ـ إذا لم يضبطها الشرع:

«ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» متفق عليه.

«يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم بألفاظ مختلفة.

○ المرأة المسلمة عفيفة:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا.. ﴾ [النور: ٣١]

«أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها، خرق الله عز وجل عنها ستره» صحيح الجامع.

ثلاثة لا تسأل عنهم:

رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه ـ ومات عاصياً ـ وأمة أو عبد أبق فمات.. وامرأة غاب عنها زوجها ـ قد كفاها مؤنة الدنيا ـ فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم» الصحيحة ـ رقم ٥٤٢.

○ المرأة المسلمة حيية:

«الحياء خير كله» مسلم.

«كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها» متفق عليه.

○ المرأة المسلمة تجتنب الريب:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١]

﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]

﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]

«**أيما امرأة استعطرت ليجد الناس ريحها فهي كذا وكذا**» أبو داود والترمذي والحاكم بنحوه..

○ الغيرة من المرأة ـ وعليها ـ فطرة ودين:

«**ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**» متفق عليه.

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديّوث: الذي يقر الخبث في أهله، أو لا يبالي من دخل على أهله**» الطبراني وغيره.

○ الثقة بالمرأة المسلمة، وعدم تلمس عثراتها:

«**إذا أطال أحدكم الغَيْبَة، فلا يطرق أهله ليلاً**» البخاري.

«**نهى ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، لئلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم**» مسلم.

○ البيت ليس سجناً للمرأة:

«**ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، ورميه بفرسه، ومداعبته أهله**» أبو داود والترمذي.

والمراد أن كل اللهو باطل إلا هذه الثلاثة، وسميت لهواً من باب المشاكلة اللفظية، وإلا فإن ترويض الفرس وإعداده، والتدرب على الرماية

أمر رجولي جهادي ـ فأنى يكون لهواً ـ وكذا مداعبة الأهل لما يترتب عليه من المودة والرحمة والسكنى.

○ خدمتها في بيتها كالجهاد في سبيل الله:

أتت أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: إني رسول مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي:

إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدّراتٌ قواعد بيوت، وإن الرجال فُضّلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم:

أفنشاركهم الأجر يا رسول الله؟

فالتفت ﷺ إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها؟**» فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ:

«**انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعّل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**» أخرجه الإمام أحمد والدارمي والطيالسي وصحح الألباني إسناده.

○ المرأة المسلمة كاسية محتشمة:

«**صنفان من أهل النار لم أرهما: ... ونساء كاسيات عاريات، مائلات، مميلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» مسلم وغيره.

○ المرأة المسلمة ديّنة تقية :

قال ﷺ : «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وروي عن أخت بشر الحافي[1] أنها سألت الإمام أحمد قائلة:

إننا نغزل على سطوحنا، فتمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع علينا شعاعها، أفيجوز لنا أن نغزل على شعاعها؟

فقال: من أنت عافاك الله؟

فقال: أخت بشرٍ الحافي.

فبكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها[2].

○ المرأة المسلمة تحفظ غيبة زوجها :

﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ [النساء: ٣٤]

«.. **وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله**» النسائي والبيهقي والبخاري في الأدب بنحوه.

١- يكرّم الخواجات شياطينهم، وندوس نحن عظماءنا بالحذاء، ومن عظماء هذه الأمة بشر الحافي العابد الزاهد رحمه الله، وقبله سيدنا جابر بن عبدالله رضي الله عنه، وبعده الإمام العظيم الشاطبي... وقد أطلقنا أسماءهم على شواطئ يتعرى عليها اللحم الأبيض، وتتشمس نساء لا يستحين ولا يستحي أولياؤهن سميناها: سيدي بشر، وسيدي جابر، والشاطبي، وبدلاً من أن نجعل من سيرة بشر والشاطبي وأمثالهما شموساً يهتدى بها جعلناهم مرتعاً للفسق والفساق.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢- استفدت من الكتاب المبارك: عودة الحجاب في نقول يسيرة في هذا السياق.

○ المرأة المسلمة لا تخلو بأجنبي إلا مع محرم:

«لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم» متفق عليه.

«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها» متفق عليه.

○ زينة المسلمة في بيتها فقط:

﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]

«.. وإذا نظر إليها سرّته» النسائي والبيهقي في الشعب.

«كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا» أبو داود والترمذي.

○ المسلمة لا تبدل فطرة الله تعالى:

«لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» متفق عليه.

○ امرأة البيت خير النساء:

«إن خير نساء ركبن الإبل: نساء قريش؛ أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعلٍ في ذات يده» متفق عليه.

○ المرأة المسلمة تناقش زوجها وتراجعه:

عن عمر رضي الله عنه قال:

تغضّبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني - كعادة عرب الجاهلية - فقالت:

ما تنكر أن أراجعك؟

فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل!!

قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعن رسول الله ﷺ؟

قالت: نعم.

قال: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. رواه أحمد

○ المرأة المسلمة وفية برّةٌ بزوجها:

«**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث ليالٍ، إلا على زوج: أربعة أشهر وعشراً**» متفق عليه.

- كانت أسماء بنت عميس لجعفر بن أبي طالب، ثم لأبي بكر من بعده، ثم خلفهما عليّ - رضي الله عنهم - فتفاخر - مرة - ولداها: محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، كلٌّ يقول: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك.

فقال لها علي: اقضي بيننا يا أسماء.

قالت رضي الله عنها بحكمة شديدة، وإنصاف أشد:

ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر.

فقال علي: ما تركت لنا شيئاً، ولو قلت غير هذا لمقتُّك.

فقالت: **إن ثلاثة أنت أقلُّهم لخيار.**

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أخرجه ابن السكن بسند صحيح عن

الشعبي.. واقرأ المزيد من هذه الروائع في عودة الحجاب ج٢ - ص ٢٥٧ وما بعدها.

○ المرأة المسلمة مجاهدة صلبة:

راجع كتب السيرة والسنن والمغازي للاطلاع على سيرة كل من سمية وزنيرة وأم شريك بنت حكيم وصفية بنت عبدالمطلب وأم كلثوم بنت عقبة وأم سليم وبنت ملحان ونسيبة وأم حرام والخنساء وأم سعد بن معاذ، وغيرهن من المجاهدات الصابرات، جهاد الاحتساب والرغبة في الشهادة.

○ المرأة المسلمة عالمة:

«**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» رواه ابن ماجه، وورد من نحو خمسين طريقاً كما ذكر الحافظ المزي.

«**أيّما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران**» متفق عليه.

- جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت:

يا رسول الله: ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله.

فقال ﷺ: «**اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا**» فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله، البخاري.

- «**نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**» البخاري.

○ المرأة المسلمة مصونة الكرامة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣]

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا..﴾ [النور: ٤، ٥]

○ المرأة المسلمة تجير حتى من حاكم المسلمين:

«**إن كانت المرأة لتجيرُ على المؤمنين**» أبو داود والترمذي.

«**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، وأمنّا من أمنت**» البخاري.

قول زينب رضي الله عنها: إني قد أجرت أبا العاص ابن الربيع، وقوله ﷺ لها: «قد أجرنا من أجارت».

○ القوامة تكليف لا تشريف:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا﴾ [النساء: ٣٤]

«**كل نفس من بني آدم سيد، فالرجل سيد أهله، والمرأة سيدة بيتها**» رواه ابن السني وصححه الألباني.

○ طريقها إلى الجنة أسهل:

«**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت**» صحيح الجامع.

○ لها حقوق على زوجها:

«**وإن لزوجك عليك حقاً**» متفق عليه.

○ المرأة المسلمة تختار لنفسها:

«**استأمروا النساء في أبضاعهن**» قيل: فإن البكر تستحي أن تَكَلّم، قال: «**سكوتها إذنها**» أحمد والنسائي بسند صحيح.

«**الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها**» متفق عليه.

○ المسلمة لا تمنع من الزواج بالكفء:

﴿**فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٣٢]

ومعنى العضل: منع المرأة من التزوج بكفئها إذا طلبت ذلك، ورغب كل منهما في صاحبه.

○ المسلمة الأم في أعلى منزلة:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من قال: «**أبوك**» متفق عليه.

«**إن الله تعالى يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بالاقرب فالأقرب**» أحمد، والبخاري في الأدب، والحاكم وصححه.

استفتى سعد بن عبادة رضي الله عنه النبي ﷺ: إن أمي ماتت وعليها نذر، فقال: «**اقضه عنها**» متفق عليه.

○ البنت المسلمة بابٌ للجنة:

قال الإمام القرطبي رحمه الله (١٦/٤٨): إن من يمن المرأة تبكيرها بأنثى، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]

«**من عال جاريتين ـ أي صغيرتين ـ حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو**» وضم أصابعه، أي معاً.. رواه مسلم.

خرج علينا رسول الله ﷺ وأمامة بنت أبي العاص ـ بنت ابنته زينب رضي الله عنهم ـ فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها، حتى قضى صلاته يفعل ذلك.

«**اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم**» أصحاب السنن وأحمد.

○ الزوجة ملكة في الإسلام متوَجة:

▫ النكاح سنة وقربة:

«.. **وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» متفق عليه.

▫ المسلمة تساوي نصف الدين لا الدنيا فقط:

«**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني**» الحاكم وصححه.

▫ النظر إليها ومداعبتها رحمة:

«**إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه، نظر الله تعالى إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما**» صححه السيوطي في فيض القدير ٢/٣٣٣.

▫ إشباع رغبتها ثواب:

«**وفي بضع أحدكم صدقة**» مسلم وغيره.

سئل الإمام أحمد رحمه الله: يؤجر الرجل أن يأتي أهله وليس له شهوة؟

فقال: إي والله، يحتسب الولد، وإن لم يرد الولد قال:

هذه امرأة شابة، لم لا يؤجر؟! المغني ٧ / ٣١ عن عودة الحجاب.

▫ لها حقوق مادية ومعنوية:

يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟

قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تقبّح الوجه، ولا تضرب**» وفي رواية لإمام أحمد: «**ولا تهجر إلا في البيت، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض، إلا بما حل عليهن**».

▫ لها حق مال زوجها لو منَعَ:

سألت هند بنت عتبة رضي الله عنها المصطفى ﷺ: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**» متفق عليه.

قال ابن قدامة رحمه الله: فيه دلالة على وجوب النفقة لها على زوجها، وإن ذلك مقدر بكفايتها.

«**إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فله نصف أجره**» وفي رواية «**فلها نصف أجرها**» البخاري ومسلم وغيرهما.

▫ المسلمة تعين زوجها بمالها عند اللزوم:

أتت امرأتان باب النبي ﷺ: تسألان: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما؟

فقال ﷺ: «**لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة**» متفق عليه.

آزرت أم المؤمنين خديجة زوجها رسول الله ﷺ، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله تعالى السلام إليها مع جبريل عليه السلام، وهذه لا تعرف لامرأة سواها. زاد المعاد ١ / ١٠٤.

▫ تعليم الزوجة أمرٌ شرعي:

قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] أدبوهم وعلموهم.

قال الألوسي رحمه الله: واستدل بها على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء، يعني نساء بيته وأولاده.

روح المعاني ٢٨ / ٥٦ عن عودة الحجاب.

▫ حسن العشرة فريضة لها على زوجها:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]

«لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» مسلم.

▫ الثقة بها من تمام الفقه:

«نهى ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، لئلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم» مسلم.

ومعنى: يطرق أهله ليلاً، أن يدخل عليهن إذا كان عائداً من سفر - مثلاً - وهن لا يتوقعن عودته.

«أيما امرأة مات زوجها عنها راضٍ، دخلت الجنة» الترمذي والحاكم.

هذا رسم سريع حاولت من خلاله استجلاء صورة المرأة المسلمة من خلال النصوص دون إطالة، ودون تكرار، ودون إلحاح على المعاني، ودون تدخل مني ليتفكر المنصف ويقارن بين واقع مؤلم نأباه، ومستقبل مظلم يُخَطط له، وصورة مثلى ينبغي أن تكون عليها كل انثى: تكريماً، وتشريفاً، وتحضّراً وعطاء..

وبعد..

فهذه صيحة تحذير أتمنى أن تقرأها أعين مبصرة، وتعيها آذان واعية، وترسخ في قلوب بصيرة حصيفة.

ورغم تكاتف الظلمات، وشدة الهجوم على الإسلام، وكَلَبِ الخصوم وجلدهم، فإننا متفائلون مستبشرون بنعمة من الله وفضل، وبأن العاقبة للمتقين، وبأن الله تعالى ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم..

لكني أبرأ إلى الله تعالى من الاستخذاء، وصمت الرضا، وبيع الآخرة بالدنيا، ومن كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وأدعوه سبحانه أن يعجل لعباده بنصر منه وفتح قريب، يعزّ الله به أولياءه، ويرغم به أعداءه.

وأسأله عزّ وجلّ أن يرفع عن أعناق المسلمين أغلالاً ثقالاً أرغموا على حملها، وأن يقدر لهذه الأمة أمر رشد.

كما أضرع إليه سبحانه أن يرحمني ويرحم والديّ وزوجي - رحمة واسعة - وأن يرحم شيوخي وأساتذتي الأجلاء أحياءً وأمواتاً.

اللهم آمين يارب العالمين..

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه العفوّ/ عبدالسلام البسيوني

المراجـــع

أ - المراجع العربية:

١- أبو بكر الصديق/ علي الطنطاوي/ دار المنارة بجدة/ ط٣/ ١٩٨٦م.

٢- أثر التكنولوجيا على المرأة العربية/ بحث قدم إلى مركز البحوث العلمية والتطبيقية بجامعة قطر - حنان عواد - ١٩٩٢م - غير منشور.

٣- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام - د. سعد الدين صالح - ط٢/ ٩٣، دار الأرقم - الزقازيق.

٤- استعباد المرأة/ علي محمد علي/ سلسلة من الشرق والغرب/ الدار القومية للطباعة والنشر/ القاهرة.

٥- أصوات ثقافية من المغرب - الدار العالمية للطباعة والنشر - بيروت - ط١/ ١٩٨٤ - جزءان.

٦- برنامج عمل مؤتمر السكان - مذكرة الأمانة العامة - الأمم المتحدة - القاهرة - ٥-١٣ سبتمبر ١٩٩٤م.

٧- تاريخ المرأة الكويتية - نورية السداني - ج٢ - بدون تاريخ.

٨- تجفيف منابع الأنوثة - عبدالسلام البسيوني.

٩- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام المنذري - دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١٩٦٨م - بتحقيق محمد مصطفى عمارة.

١٠- تقارير وآراء صادرة عن الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي عن مؤتمر السكان والتنمية - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ١٩٩٤م.

١١- التلفزيون بين المنافع والمضار - دكتور عوض منصور.

١٢- الحريم السياسي - فاطمة المرنيسي.

١٣- حق المرأة عزيز السيد جاسم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط١/ ١٩٨٠م.

١٤- الحوار أو خراب الديار - محمد جلال كشك - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

١٥- الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط١/ ١٩٨٤م.

١٦- رحمة للعالمين للمنصور فوري - الدار السلفية - بومباي - ط٢/ ١٩٩٢م.

١٧- الرواية في الوطن العربي - د. علي الراعي - دار المستقبل العربي - ط١/ ١٩٩١م.

١٨- رياض الصالحين للنووي - بتحقيق الألباني - المكتب الإسلامي - ط٣/ ١٩٨٦م.

١٩- زاد المعاد من هدي خير العباد، لابن القيم - ط ـــ الرسالة.

٢٠- صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة - د. طه وادي - دار المعارف - ط٣/ ١٩٨٤م.

٢١- العقلانية ـ عبدالسلام البسيوني ـ دار الوفاء ـ المنصورة.
٢٢- عودة الحجاب ـ محمد أحمد إسماعيل ـ دار طيبة بالرياض.
٢٣- الفقه الإسلامي وأدلته ـ د. وهبة الزحيلي ـ دار الفكر ـ ط٣/١٩٨٩م.
٢٤- فقه السيرة النبوية للبوطي ـ دار الفكر ـ ط١١/١٩٩١م.
٢٥- الكنيسة والانحراف الجنسي ـ أبو إسلام أحمد عبدالله ـ بيت الحكمة ـ القاهرة ـ ١٩٩٥م.
٢٦- المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها ـ عبدالهادي عباس ـ دار طلاس ـ ١/ دمشق ١٩٨٧م.
٢٧- المرأة الأنموذج في الرواية العربية الحديثة ـ شمس الدين موسى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٥م.
٢٨- المرأة والألوهية ـ محمد وحيد خياطة ـ دار الحوار ـ سورية ـ ١٩٨٤م.
٢٩- المرأة والتنمية الاقتصادية في العالم العربي ـ أوراق مؤتمر عقده معهد الدراسات النسائية في العالم العربي ـ كلية بيروت الجامعية ـ ١٩٧٨ ـ نشر روز غريب.
٣٠- المرأة والحياة الاجتماعية في الإسلام ـ تغاريد بيضون ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.
٣١- المرأة الجزائرية ـ إشراف د. عبدالقادر جغلول ـ ترجمة: سليم قسطوني ـ دار الحداثة ـ بيروت ـ ط١/٨٣.
٣٢- المرأة العربية المعاصرة: إلى أين؟ د. صلاح الدين جوهر ـ دار القلم ـ الكويت ـ ط١/١٩٨٢
٣٤- المرأة العربية وقضايا التغيير ـ بحث اجتماعي في تاريخ القهر النسائي ـ خليل أحمد خليل ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ط٣/١٩٨٥م.
٣٥- المرأة في عصر الديمقراطية ـ إسماعيل مظهر ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٩م.
٣٦- المرأة ليست لعبة الرجل ـ سلامة موسى.
٣٧- المعجم الفلسفي ـ د. عبدالمنعم حفني ـ ط الدار الشرقية.
٣٨- معجم المصطلحات العلمية والفنية ـ يوسف خياط ـ دار لسان العربي ـ بيروت.
٣٩- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ فنسنك وآخرون ـ ط، ليدن.
٤٠- مقاصد الشريعة الإسلامية محمد الطاهر ابن عاشور ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ ١٩٧٨م.
٤١- المنتقى من الترغيب والترهيب للمنذري ـ د. يوسف القرضاوي ـ ط الوفاء ـ المنصورة ـ القاهرة.
٤٢- من أجل تحرير حقيقي للمرأة ـ محمد رشيد العويد ـ دار جواء ـ ط٣/١٩٩٤م.
٤٤- واقعنا المعاصر ـ محمد قطب ـ مؤسسة المدينة للصحافة ـ جدة ـ ١٩٨٦م.
٤٥- وهل بالإسلام حرية للرأي ـ عبدالسلام البسيوني ـ مكتبة الأقصى ـ الدوحة ـ ١٩٩٤م.
٤٦- المجلات والجرائد العربية: الشرق ـ الراية ـ العرب ـ المسلمون ـ الخليج ـ روز اليوسف ـ صباح الخير ـ ندى ـ الأسرة ـ هاجر. أعداد متفرقة مشار إليها في موضعها.

ب- مراجع إنجليزية :

1-Against the mutilation of women, Lilian Passmore Sanderson, London,1981, Ihaca Press.

2- Beyond the veil, Fatima Memissi, Al Saqi Books, London. 1985.

3- Arab women, Report no. 27-1983, Minority Rights Group. London.

4- A city of women, sex and class in New York, 1789 - 1866. Christine Stansell, N.Y., 1986, Ist ed.

5- The Colonial Harem, Malek Aloulah, University of Minnesota Press, 1986.

6- Contemporary Cultural Anthropology, Michael Howard, 2nd ed., Little Brown & Co. Canada, 1986.

7- Cultural Anthropology, Marvin Harris, Harper & Row Puplishers, N.Y., 2nd ed.,. 1987.

8- Cultural Anthropology, Sarena Nanda, 3rd ed., Wadsworth Puplishing Co., California.

9- Encyclopaedia Britannica, 15th ed., 1984.

10- Family and Transition, A & J, Skolnich, Little Brown & Company, Boston, 1986.

11- The Family: A sociological interpretation, Bert N. Adams. 4th ed., Harccourt, Brace Publishers, 1988. U.S.A.

12- Female Circumcision, Excision and Infibulation, The Minority Rights Group.

13- Gendre & History, Linda Nicholson, Colombia University Press. 1986.

14- Harem years. The memoris of an Egyptian feminist. 1979-1024, Huda Shaarawy, trans: Margot Badran, Vigars Press Ltd London, 1986.

15- Iamage of Arab women, Mona Mikhail, Three Contienents Press, Washington D.C., U.S.A, 1981.

16- The Oriental obsession, John Lweatnan, Cambridge University Press, Cambridge, 1988.

17- The Ottoman lady, A social history from 1718-1918 by: Fanny Davis, Greenwood Press, London.

18- Repubic of cousins, Gremain Tillion, Al Saqi Books, London, 1983.

19- Social Ethice, Morality, & Social policy, Thomas A. mappes & Jones S. Zembaty, Mc Graw Hill Book Company. U.S.A, 1987.

20- Women & Family in the Middle Eeast, New voices of change, Edited by Eizabith Warnock Femea, Uni. of Texas press, Austin, 1985.

21- Women in Egyptian public life, Earl L. Sullivan, Syracuse Uni. Press, N.Y. U.S.A, 1986.

22- Women of Marrakech, Leonora Peets, Hurst & Company, London, 1983.

23- Women in Turkish Society, Nermin Abdan Unat, Leiden E.J. Brill, 1981.

24- Woman in the world, An International Atlas, Joni Seager and Ann Olson, pluto press, London & Sydney, 1986.

25- Magazins & Newspaprs: Different issues of: TIME, NEWS WEEK AND THE GUARDIAN.



الموضـــــــوع	الصفحة
بين يدي الدراسة	٩
بـــداية	١٥
الفصل الأول: ماذا يريدون من المرأة المسلمة؟	١٧
الفصل الثاني: ذرائع ووسائل الدعوة إلى الحرية الجنسية	٤٥
أولاً: الذرائع	٤٧
ثانياً: الوسائل	٧٦
الفصل الثالث: نظرة تطبيقية	١٠٧
الفصل الرابـع: ماذا نريد نحن من المرأة؟	١٣٥
المـراجع	١٥٥
الفهـرس	١٥٩


طبعت بمطابع دار طيبة - الرياض السويدي
شارع عبدالملك بن هشام - ت: ٤٢٨٣٨٤٠

ردمك : ٣١ـ٦٣٩ـ٤